مجموعة

حقائق كتابية

بقلم

برسوم ميخائيل

خادم الانجيل

الجزء الثالث

حقائق خلاصية

مجموعة
حقائق كتابية

بقلم
برسوم ميخائيل
خادم الإنجيل

الجزء الثالث

حقائق خلاصية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٨٧ / ٨٨٧٥

فهرس

الجزء الثالث

حقائق خلاصية

فهرس

الباب الأول

الإنسان وواجباته

الباب الثانى

الخلاص وبركاته

الفصل الأول ــ الغفران

(ا) الغفران الكامل الشامل

(ب) الغفران الذى به يسترد المؤمن بهجة الخلاص

(ح) الغفران لرفع التأديب عن المؤمن

(ء) هل فى سلطان البشر أن يغفروا خطايا .

الفصل الثانى ــ التبرير

(ا) التبرير أمام الله (ب) التبرير أمام الناس .

الفصل الثالث ــ الولادة الثانية

(ا) الكفارة أساسها ، والإيمان القلبي شرط نوالها .

(ب) لزومها للوجود فى حضرة الله وللحصول على الميراث .

(ح) لزومها لعيشة القداسة .

(ء) ماتحبه الطبيعة الجديدة ، وما أعدته نعمة الله .

الفصل الرابع ــ سكنى الروح القدس

(ا) الكفارة أساسها ـ والإيمان القلبي شرط نوالها .

الفصل الخامس ــ التبنى

الباب الأول

الإنسان وواجباته

الفصل الأول

التوبة

١ — خلاص الله للخطاة

حقاً إنها لنعمة غنية من الله البار للبشر الأشرار المتعدين عليه بخطاياهم : أن يحبهم حتى إنه بذل ابنه كفارة عنهم على ما مرّ بنا فى خاتمة الجزء الثانى ، وألهم أنبياء العهدين بالحض على التوبة إليه إيماناً برحمته على أساس الكفارة التى سبق أن بشر بها تلميحاً فى الذبائح الرمزية ونبوات الأنبياء قديماً ، وبالإعلان الصريح الآن فى الإنجيل : فقال أشعياء قديماً « ليترك الشرير طريقه ، ورجل الإثم أفكاره ، وليتب إلى الرب فيرحمه ، وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران » (أش ٥٥ : ٧) ؛ وقال المعمدان « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٣ : ٢) ، وقال رب المجد نفسه « توبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ٥) وأخيراً قال بطرس « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا » (أع ٢ : ٣٨) ، وهذا على أساس قول المسيح فى أيام جسده على الأرض « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) .

نعم ! هى نعمة غنية من الله للبشر . فقد سقط الملائكة ولم يحظوا من الله

بمثل هذه النعمة ، بل بمجرد أن سقطوا أعدت لهم عدالته مايستحقونه من نار جهنمية أبدية . وحسب الناموس (الذى معناه « قانون ») لم يكن هناك للبشر باب مفتوح للتوبة والرحمة ، بل « من خالف ناموس موسى فعلى [فم] شاهدين أوثلاثة شهود يموت [رجماً] بدون رأفة » (عب ١٠ : ٢٨) . هذا فضلا عن أنه لايوجد أسهل ولا أبسط من الطريقة التى أعدها الله للبشر لنوال الخلاص الذى أعده لهم بموت ابنه : فهى ليست أكثر من أن تنتهز النفس هذه الفرصة المتاحة لها الآن فى عهد النعمة فترجع إلى الله عن طريق ابنه لنوال خلاصه ، كقول الابن الحبيب نفسه « أنا هو الطريق والحق والحياة : ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) . وإذ لاسبيل غيره لنوال الخلاص ، يقول الرسول « فكم عقاباً أشر (من الموت رجماً تحت الناموس . وهذا العقاب الأشر هو العذاب الأبدى فى نار جهنم) تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله ؟ ! » (عب ١٠ : ٢٩) إذن ، لامفر من التوبة والإيمان إن شئنا الخلاص . ولكى نعرف مايقوله الكتاب عن كل منهما لنتقدم أولا لمعرفة وجه الجريمة فى الخطية المطلوب منا التوبة عنها والإيمان بالمسيح للخلاص من عقوبتها وسلطتها .

ب — وجه الجريمة فى الخطية

الخطية هى تنفيذ الإنسان لإرادته الذاتية المضادة لإرادة الله ، كأنه مخلوق بلا رب ، أو عبد بلا سيد ، كقوله تعالى للعاصين عليه « الابن يكرم أباه ، والعبد يكرم سيده ، فإن كنت أنا أباً فأين كرامتى ؟ وإن كنت سيداً فأين هيبتى ؟ » (ملا ١ : ٦) . لذلك قيل أيضاً « الخطية هى التعدى » (١ يو ٣ : ٤) . لماذا ؟ لأن فيها سلباً لكرامة الله كالخالق ، وامتهاناً لهيبته كالسيد ، وإنكاراً لحقوقه ، وتجاهلا لوجوده ، كما قيل « الشرير حسب تشامخ

أنفه يقول ، (إن الرب) لايطالب . كل أفكاره إنه لا إله (أو حسب الحاشية « ليس الله فى كل أفكاره ») (مز ١٠ : ٤) ، وفيها أيضاً عدم تقدير لديونته ، كقوله تعالى « افهموا هذا ، يا أيها الناسون الله ، لئلا أفترسكم ، ولا منقذ » (مز ٥٠ : ٢٢) .

هذا هو وجه الجريمة فى الخطية . ومن ثم لافرق فى نظر الله بين خطية وخطية . فعصيان القلب على الرب ، وعبادة الأوثان سيان « لأن التمرد كخطية العرافة ، والعناد كالوثن والترافيم » (١ صم ١٥ : ٢٣) . لذلك نهى الكتاب عن الخطايا القلبية كالشهوة (خر ٢٠ : ١٧ قابل يع ١ : ١٥) ، والبغضة (١ يو ٣ : ١٥) ، والكبرياء (يع ٤ : ٦) ، والحسد (١ كو ١٣ : ٤) ، كما نهى بالتمام عن الخطايا الكلامية كالكذب (كو ٣ : ٩) ، والمذمة (يع ٤ : ١١) ، والنميمة (أم ٢٦ : ٢٠) ، والشتيمة (أف ٤ : ٢٩) ، والهزل (أف ٥ : ٣ و ٤) ، والحلف (مت ٥ : ٣٤) ، وكما نهى تماماً عن الخطايا الفعلية كالزنى (عب ١٣ : ٤) والنظرات النجسة (مت ٥ : ٢٨) ، والقتل (١ يو ٣ : ١٥) ، والخصام (٢ تى ٢ : ٢٤) ، والسرقة واغتصاب حقوق الله والناس (أم ٢٨ : ٨ ، ١ تى ٦ : ١٠) ، والسكر (أف ٥ : ١٨ قابل ١ كو ٦ : ١٠ و ١٢) ، والسحر (تث ١٨ : ١٠ و ١١) .

ج — جوهر التوبة

كان السقوط هو تغيير الفكر الصالح من جهة الله ، والتصرف طبقاً للفكر الخاطىء . وعليه فالتوبة هى تغيير الفكر الخاطىء من جهة الله والخطية ، ووزن الخطية كجريمة فى حق الله من حيث كونها تعدياً عليه ، الأمر الذى يقود القلب حتما للحزن على الخطية حزناً بحسب مشيئة الله ينشىء

بنعمة الله ، توبة لخلاص بلا ندامة » (٢كو ٧ : ١٠) وهذه التوبة هى أول واجب على كل واحد من بنى آدم الساقط ، لذلك قيل «الله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا ، متغاضياً عن أزمنة الجهل . لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد عيّنه ، مقدماً للجميع إيماناً ، إذ أقامه من الأموات » (أع ١٧ : ٣٠ و ٣١) .

د — عوامل التوبة

تتم التوبة تحت تأثير العوامل الآتية :

١ — اقتناع النفس قلبياً بوجود الله الذى تشهد به الخليقة ، ويؤكده الكتاب المقدس (مز ١٩ ، رو ١ : ١٩) .

٢ — اقتناع النفس قلبياً ، بشهادة الضمير فى الداخل ، الشهادة التى يؤيدها الكتاب المقدس أيضاً ، الشهادة بأن النفس فى انصرافها عن الله وتغاضيها عن إرادته ، مذنبة فى حقه ، كقول داود لله «إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت » (مز ٥١ : ٤) .

٣ — اقتناع النفس قلبياً بعدالة العقوبة الإلهية الصادرة ضدها ، كما قيل « لك ، ياسيد البر (أو عدالة الحكم) ، أما لنا فخزى الوجوه » (دا ٩ : ٧) .

٤ — اقتناع النفس قلبياً بعجزها عن الحصول على التبرير من ذنب الخطية بمجهوداتها ، والتماسها إياه من الله على مبدأ الرحمة ، كقول النبى لله «لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك ، فإنه لن يتبرر قدامك حى» (مز ١٤١ : ٢) .

٥ — إيمان النفس إيماناً قلبياً بصدق الله فيما أعلنه عن ابنه كالواسطة الوحيدة لتبرير النفس من ذنوبها باستحقاق دمه ، كما قيل « متبررون الآن بدمه » (رو ٥ : ٩) .

وهكذا تنتهى النفس إلى الإيمان القلبى بالمسيح . فالتوبة خطوة مباركة مقترنة بالإيمان بالله فى حقوقه ، وبالإيمان بالمسيح فى إيفائه لهذه الحقوق بموته . فوإن كان للتوبة دوافع قوية تدفعنا إليها ، إلا أن الجاذب القوى الذى يجذبنا إليها إنما هو الوعد بالحياة فى المسيح ، لذلك قيل « وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به : الحياة الأبدية » (١ يو ٢ : ٢٥) .

ولكن إذا توقف الإنسان ، تحت تأثير الدوافع ، عند حد مجرد الندم دون الإيمان بنعمة الله المخلصة على أساس الذبيحة ، فإن ذلك يقوده إلى اليأس الذى ينتهى به ، إما إلى التهور فى الشر وملاهى الحياة كما فعل قايين (تك ٤ : ١٧ — ٢٢ ، يه ١١) ، وإما إلى الانتحار كما فعل الأسخريوطى (مت ٢٧ : ٢ — ٥) .

الفصل الثانى

الإيمان

التوبة جوع وعطش للبر ، لذلك يقول الرب « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » (مت ٥ : ٦) والمسيح هو الذى يقدم للنفس الجائعة والعطشى كخبز الحياة وماء الحياة ، وأكله كخبز الحياة وشربه كماء الحياة كناية عن الإقبال إليه والإيمان به كمن فيه الحياة لنا على أساس موته . والشبع والارتواء كناية عن حصولنا على الحياة الأبدية فيه ، كقوله « من يقبل إلىّ فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً » (ع ٣٥) ، القول الذى فسره بعد ذلك بقوله « من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً » (ع ٣٧) ، أى أنه : يُقبل ولا يُرفض ، يحيا ولا يموت ، يخلص ولا يهلك ، يتحرر ولا يُستعبد .

ولا توجد توبة حقيقية لا تقترن بالإيمان القلبي بالمسيح ، ولا يوجد إيمان صحيح بالمسيح لا يقترن بالتوبة القلبية الصادقة عن الخطية . كما قال الرسول « شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله ، والإيمان الذى بربنا يسوع المسيح » (أع ٢٠ : ٢١) .

الفصل الثالث

الاعتماد بالماء

القسم الأول

المعمودية فى ذاتها

١ — ملكوت السموات

ليس « ملكوت السموات » هو السماء . لأن السماء ليس فيها إلا المؤمنون الحقيقيون فقط ، أما ملكوت السموات ففيه مؤمنون حقيقيون ومؤمنون بالاسم ، كما قال الرب نفسه « يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله ، وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى » وقد فسّر المعنى بقوله إن « الزرع الجيد هو بنو الملكوت والزوان هو بنو الشرير . والعدو الذى زرعه هو إبليس » (مت ١٣ : ٢٤ و ٢٥ و ٣٧—٣٩) إذن ، فملكوت السموات المشار إليه فى أقوال الرب فى مت ١٣و٢٥ هو مملكة السماء على الأرض ، أو دائرة الاعتراف هنا بسيادة أو ربوبية ، الرب يسوع الملك المرفوض من الأرض ، أثناء غيابه بالجسد فى السماء ، سواء أكان المعترفون به خاضعين لهذه السيادة فعلياً

أو صورياً فقط . ومايسمى «ملكوت السموات» فى أمثال الرب السالف ذكرها هو نفسه ما يسمى « ملكوت الله(*) » فى نفس الأمثال فى مرقس ولوقا . قابل مت ١٣ : ١ — ٥٣ مع مر ٤ : ١ — ٣٤ ، لو ٨ : ٤ — ١٨ .
أما « ملكوت الله » فيما عدا هذه الأمثال فهو دائرة « الزرع الجيد » و « السمك الجيد » و « العذارى الحكيمات » أو الدائرة الروحية ، دائرة « أولاد الله » الذين هم جسد المسيح » . ومن ثم يذكر فى أف ٤ : ٤ — ٦ ثلاث دوائر : الأولى «جسد واحد ، وروح واحد ، كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد » ، وهذه دائرة المؤمنين الحقيقيين . أولاد الله وأعضاء جسد الرب أيضاً بسكنى روحه فيهم . الثانية « رب واحد ، إيمان واحد معمودية واحدة » وهذه دائرة المعترفين فى المعمودية بربوبية الرب يسوع سواء أكانوا من المؤمنين الحقيقيين أعضاء جسد الرب ، أم كانوا من المعترفين بالمعمودية بمجرد اعتراف دون إيمان قلبي بالرب أو أية علاقة روحية صحيحة معه . الثالثة « إله وأب واحد ، للكل ، الذى على الكل ، وبالكل » ، وهذه دائرة العالم الخارجية . فإذا كانت دائرة الاعتراف المسيحى هى ملكوت السموات . فالمعمودية هى التى تميزها عن العالم الخارجى بأديانه . أما الذى يميز كنيسة الله ، جسد المسيح ، عن مجرد المعترفين ، فهو : الولادة الثانية وسكنى الروح القدس .

(*) السبب فى اختلاف التسمية هو أن متى يكتب للعبرانيين بلغة الكتب المقدسة التى يعرفونها ، والتى منها قول النبى « يقيم إله السموات مملكة » (دا ٢ : ٤٤) . أما مرقس ولوقا ، فلأنهما يكتبان للأمم ، يذكران لقب « الله » بياناً لسلطان الله عليهم بالمباينة مع سلطان الأوثان السابق .

ب — المعمودية وملكوت السموات

لم يسجل أمر الرب لتلاميذه بالمعمودية المسيحية إلا متى في إنجيله ، إنجيل المسيح كالملك . وكان أمر الرب هذا على جبل في الجليل سبق فأمرهم ، بعد قيامته ، أن يلتقوا به عليه (مت ٢٨ : ١٦و١٧) وهناك « كلمهم قائلا ، دفع إلىّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (ع ١٨ - ٢٠) . فقبل أن يغادر المسيح الأرض وقف على جبل - والجبل رمز الملكية والرياسة(*) والسيادة والسلطان ومن هناك أرسل ، كالملك المرفوض من شعبه القديم ، سفراءه ليدعوا جميع الأمم إلى الإيمان به ، والاعتماد باسمه ليكونوا من رعايا ملكوته أثناء غيابه بالجسد في السماء . إنّ سلطان الرب لم يفرض بعد بالقوة على الأرض . لأن هذا سيتم في المستقبل حين تصير « جميع ممالك العالم لربنا ومسيحه » (رؤ ١١ : ١٥) . أما الآن فيعرض سلطانه على البشر في كلمته . ومن ثم فليس أتباع الرب الآن جنود حرب ، لأن هذا لا يكون إلا عند ظهوره وملكوته (رؤ ١٩ : ١١و١٤) ، أما الآن فهم تلاميذ حق ، كقوله « تلمذوهم وعمدوهم . . . وعلموهم » .

وفي مت ١٦ أعطى الرب لبطرس امتياز افتتاح هذا الملكوت ، إذ قال

(*) انظر مز ٣٠ : ٧ ، ٤٦ : ٢ و٣ و٦ ، زك ١ : ١ مع ٤ : ٧ ، رؤ ٨ : ٨ .
ومتى كاتب إنجيل الملكوت يكلمنا عن ثلاثة جبال : الأول — جبل الموعظة الذي منه أعلن المسيح كالملك في موعظته مبادىء ملكوته (ص ٥ — ٧) : والثاني — جبل التجلي الذي عليه أظهر كالملك مجد ملكوته (ص١٧) . الثالث — الجبل الذي منه كالملك أرسل سفراءه ليدعوا جميع الأمم ليكونوا من رعايا ملكوته .

له « أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة (أى صخرة الإيمان القلبى بالمسيح ابن الله الحى الذى أقرّ به بطرس فى ع ١٦) أبنى كنيستى (أى جماعتى وهى الدائرة الضيقة ، دائرة المؤمنين الحقيقيين) . . . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات (وهو الدائرة الأوسع الآن ، دائرة كل المعترفين بالإيمان المسيحى فى المعمودية) » (ع ١٦ - ١٨) وفى يوم الخمسين ، افتتح بطرس ملكوت السموات إذ دعا السامعين إلى الإيمان القلبى بالرب يسوع ، معترفين به علناً فى المعمودية ، بقوله « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨) وفى نفس الوقت بنى المسيح كنيسته من الذين آمنوا به إيماناً قلبياً وسكن الروح القدس فى قلوبهم .

فلم يكن القصد الإلهى من المعمودية إلا أن تكون تعبيراً عن الإيمان القلبى ومن ثم يقترن الإيمان والاعتراف معاً دائماً ، فيقول الرسول « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع ، وآمنت بقلبك : أن الله أقامه من الأموات ، خلصت » (رو ١٠ : ٩) كما سبق الرب وقال « من آمن واعتمد (*) خلص » (مر ١٦ : ١٦) . فالكتاب لا يفصل الإيمان عن المعمودية ولا المعمودية عن الإيمان . فالإيمان جوهر والمعمودية مظهر . لذلك يقول الرب نفسه « ومن لم يؤمن يدن » (مر ١٦ : ١٦) أى ولو اعتمد .

ج — بركات الخلاص بالإيمان وليس بالمعمودية

١ — ليس بالمعمودية مغفرة الخطايا ، بل بالإيمان القلبى فسيمون لم

(*) خلص اللص بدون الاعتماد ، لأن إيمانه وخلاصه (كـكل قديسى العهد القديم) كان قبل موت المسيح وقيامته ورسمه المعمودية ، بل وقبل يوم الخمسين يوم الكرازة به ووجوب الاعتماد باسمه كالرب والمخلص .

تغفر له خطاياه بسبب عدم إيمانه إيماناً قلبياً رغم أنه اعتمد ، مدعياً بذلك أنه آمن . لذلك يقول له بطرس بعد أن اعتمد « فتب عن شرك هذا ، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك » (أع ٨ : ١٣و٢٢) .

٢ — وليس بالمعمودية الميلاد الثانى بل بالإيمان . فالكورنثيون ولدوا ثانية بسبب إيمانهم القلبي بالإنجيل وقت أن كرز لهم به بولس قبل أن يعتمدوا ، كقوله لهم « أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل » (١كو ٤ : ١٥) رغم أنه لم يعمد بينهم أحداً إلا كريسبس وغايس وبيت استفانوس (١كو ١ : ١٤و١٥) . أما الماء المذكور فى قول الرب لنيقوديموس « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) فليس هو ماء المعمودية . لأن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذى لم تذكر فيه المعمودية ولا العشاء الربانى لأنهما يتعلقان بموته كابن الإنسان ، وهذا الإنجيل يكلمنا عن مجده كابن الله . هذا فضلا عن أن المسيح لم يرسم المعمودية المسيحية الابعد قيامته . ولم يكن نيقوديموس ولا غيره يعلم عنها شيئاً ، ومن ثم لم يكن المسيح ليلومه على عدم علمه بها . أما الماء المذكور فى كلام الرب معه ، ولامه على عدم علمه به ، فى قوله له « أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا ؟ » (ع ١٠) فهو كلمة الله . فقد استخدم الماء فى التوارة كرمز لكلمة الله متى قبلت بالإيمان فى القلب ، لغسل النفس من أدرانها غسل الميلاد الثانى ، الأمر الذى كان على مثل نيقوديموس أن يكون على علم به . ومن ذلك قول الرب « وأرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم . وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى

فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها » (حز ٣٦ : ٢٥—٢٧) وأيضاً « لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعاً للزارع وخبزاً للآكل هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلىّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له » (أش ٥٥ : ١٠و١١) . ولذلك قال يعقوب فى العهد الجديد « شاء (الله) فولدنا بكلمة الحق » (يع ١ : ١٨) ، وقال بطرس « مولودين ثانية . . . بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » (١ بط ٢ : ٢٣) ، وقال بولس عن تقديسنا « أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء ، بالكلمة » (أف ٥ : ٢٥) أى بغسل الكلمة للنفس كغسل الماء للجسم .

٣ — ليس بالمعمودية سكنى الروح القدس فى القلب ، بل بالإيمان القلبي . لأن كرنيليوس والذين معه لما آمنوا نالوا الروح القدس قبل أن يعتمدوا ، فقيل « فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذى كانوا يسمعون الكلمة ... حينئذ أجاب بطرس « أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً ؟ وأمر أن يعتمدوا باسم الرب » (أع ١٠ : ٤٤ و ٤٦—٤٨)

٤ — وليس بالمعمودية العتق من سلطان الخطية بل بالإيمان بأننا قد متنا للخطية بموت المسيح . فسيمون ، وإن كان قد اعتمد ، إلا إنه بسبب عدم إيمان قلبه بالمسيح لم يعتق من الخطية . لذلك يقول له الرسول بعد اعتماده « أراك فى مرارة المر ورباط الظلم » (أع ٨ : ٢٣) .

د — المعمودية تحمل فقط رموز الخلاص

إن المعمودية باعتبارها اغتسالا فيها الرمز بأن المسيح ، بسبب إيمان قلوبنا به قد « غسلنا من خطايانا بدمه » (رؤ ١ : ٥) ، كما قيل « قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب » (أع ٢٢ : ١٨) . كما وفيها الرمز بأن الله ، بسبب إيمان قلوبنا بالمسيح ، قد غسلنا غسل الميلادالثانى بكلمته وقوة روحه ، كقول الرسول « الله . . . بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٤و٥) . وبما أن كلمة اعتماد المستعملة فى الاعتماد بالماء ، سواء فى معموديتنا المسيحية هذه أو فى معمودية يوحنا السابقة ، هى نفسها المستعملة فى اعتمادنا بالروح ، لذلك صارت مذكرة لنا بها ، كقول المسيح « يوحنا عمد بالماء ، وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس » (أع ١ : ٥) ، وكقول الرسول « جميعنا ، بروح واحد أيضاً ، اعتمدنا إلى جسد واحد » (١كو ١٢ : ١٣) . وباعتبار أن المعمودية دفن فى الماء فيها أيضاً الرمز بأننا ، بسبب إيمان قلوبنا بالمسيح ، قد متنا شرعاً بموت المسيح لكل ما كان يستعبدنا كالناموس والذات والخطية والعالم ، كقول الرسول « أم تجهلون إننا ، (أى) كل من اعتمد ليسوع المسيح ، اعتمدنا لموته ؟ فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة . . . عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية » (رو ٦ : ٣—٦) .

فمعنى المعمودية هو الإيمان المسيحى معلناً والخلاص الإلهى مصوراً .

هـ — التعميد كان على مسئولية المعتمد

وبما أن الاعتماد كان مجرد اعتراف بالإيمان بالمسيح ، لذلك كان المعتمد يعتمد على مسئوليته الشخصية من جهة وجود الإيمان الحقيقي فى قلبه . ولم يكن المعمِّد مسئولا إلا عن إقرار المعتمد . أما إيمان قلبه فالحكم فيه من اختصاص الرب وحده « الفاحص الكلى والقلوب » (رؤ ٢ : ٢٣) . ولذلك قد يقترن اعتماد المعتمد بالإيمان الحقيقى فى القلب كاعتماد الخصى الذى « ذهب فى طريقه فرحاً » (أع ٨ : ٣٩) ، وقد لا يقترن مع الأسف ، كما فى حالة سيمون الذى ظهر شره بعد اعتماده ، فقال له بطرس « فتب من شرك هذا » (ع ٢٢) . ومثل سيمون هذا ، بكل أسف ، دخل إلى دائرة الاعتراف المسيحى . كثيرون ممن لا إيمان حقيقى فى قلوبهم ، قال عنهم بولس « الإخوة الكذبة ، المدخلين خفية ، الذين دخلوا اختلاساً » (غل ٢ : ٤) .

و — الاسم الذى تتم به المعمودية

إن الأمم الذين لم يسبق لهم أن عرفوا الرب ، أمر الرب يسوع أنهم عند إيمانهم به يُعمَّدون « باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) . إقراراً بإيمانهم بالله فى وحدة لاهوته وثالوث أقانيمه . أما جميع الذين سبق وعرفوا الرب يسوع ، أو سمعوا بخبره ولم يؤمنوا به كاليهود (أع ٢ : ٢٢ و ٢٣) ، والمتهودين ككرنيليوس والذين معه (١٠ : ٣٧ و ٣٨) ، وشاول الطرسوسى (٢٢ : ١٦) ، وتلاميذ يوحنا (١٩ : ٣ و ٤) فقد صار التشديد على اعتمادهم باسم الرب يسوع بالذات إقراراً منهم بلاهوته ومساواته للآب والروح القدس فى الأقنومية ووحدته معهما

فى اللاهوت . لكن طبعاً ، عند ممارسة التعميد كان يتم ذلك باسم الآب والابن والروح القدس ، كأمر المسيح .

ز — كيفية المعمودية

إن كيفية المعمودية هى التغطيس طبعاً لكى يتم به رمز موتنا بموت المسيح ودفننا معه بدفنه فى القبر . وهذا توضحه الشواهد الآتية « مدفونين معه فى المعمودية » (كو ٢ : ١٢) ، وأيضاً « فدفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦ : ٤) . ولا يتم الدفن فى المعمودية إلا بالتغطيس ، ويقول أيضاً عن المعمودية « لا إزالة وسخ الجسد » (١ بط ٣ : ٢١) والجسد — ككل لا يزول وسخه إلا بتغطيسه كله ، ويقول أيضاً « فنزلا كلاهما (فيلبس والخصى) إلى الماء . . . فعمده » (أع ٨ : ٣٨) ، فلم يكن هناك داع للنزول إلى الماء لو لم يكن التعميد بالتغطيس .

ح — المكلفون بالتعميد

إن الذين من حقهم أن يعمدوا هم الذين أرسلهم الرب للكرازة بالإنجيل ، كقوله « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم » (مت ٢٨ : ١٩) . وعليه فيلبس الذى ذهب وبشر السامرة عمد فيها الذين آمنوا ، كما ذهب وبشر الخصى وعمده عندما آمن (أع ٨) .

القسم الثانى

تعميد أطفال المؤمنين

إن كل ما أوردناه من كلمة الله عن المعمودية واضح منه أن الكرازة بالمسيح هى للبالغين ، والإيمان به والاعتماد باسمه هما من جانب البالغين ،

فلماذا إذن يقدم المؤمنون أطفالهم للتعميد قبل أن يبلغوا الرشد ، ويتحقق إيمانهم ؟ الجواب لأنهم بضمير صالح من نحو الله يشعرون أنه من واجبهم أن يفرزوا أطفالهم للرب بتعميدهم باسمه لتربيتهم فى الإيمان به بتأديبه وإنذاره . لاسيما وأنهم رأوا أنه من معانى المعمودية الفرز والتخصيص بدليل أنها تقترن عادة بلام التخصيص كما فى قوله مثلا « إننا كل من اعتمد ليسوع المسيح » (رو ٦ : ٣) ، وأيضاً « اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر » (١ كو ١٠ : ٢) .

وقد بنى هذا على استنتاجين مستخلصين من كلمة الله ، هما :

الاستنتاج الأول — أن الرب يسوع فى مت ١٨ : ٢ - ٥و١٩ : ١٢ - ١٥ قد جعل الأولاد هم القياس للمستحقين من البالغين للدخول إلى ملكوت السموات الذى بابه المعمودية فنقرأ أنه ، تبارك اسمه « دعا . . . إليه ولداً وأقامه فى وسطهم وقال الحق أقول لكم ، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات . فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم فى ملكوت السموات ، ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمى فقد قبلنى » (مت ١٨ : ٢ — ٥) . وعليه فقبولنا الولد فى ملكوت السموات بتعميده ليسوع المسيح هو قبول المسيح فى سلطانه وسيادته . صحيح أن المسيح لم يذكر المعمودية هنا كطريقة قبولنا للولد باسمه ، إلا أنّ المعموديه هى السبيل للدخول فى ملكوت السموات حيث الاعتراف باسمه وسيادته . وقد أيد الرب هذا المعنى حين قال أيضاً : « دعوا الأولاد يأتون إلىّ (مقدّمين بأيدى والديهم المؤمنين) . ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : اقرأ من ع ١٣ —١٥) . وقد فتح بطرس ملكوت السموات يوم الخمسين ، كما مر بنا ، ليدخل فيه

الكبار بإيمانهم معترفاً به فى المعمودية ، وليدخل فيه معهم أولادهم بتعميدهم ليسوع المسيح ليكونوا مع آبائهم داخل دائرة الاعتراف بربوبية المسيح ومبادئه ، بالنظر لمسئولية الآباء من جهة تنشئتهم فى إيمانهم المسيحى هذا ، ولمسئولية الأبناء فى أن يشبوا على ما يربيهم فيه آباؤهم .

وإذا كان للأولاد ، إذا إنتهوا من الحياة أطفالا ، حق دخول السماء باستحقاق موت المسيح ، كقوله «ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » (مت ١٩ : ١٢ و ١٤) ، فهل نستكثر على أولادنا المعمودية التى هى مجرد رمز لموته ، لإيجادهم معنا داخل ملكوته ؟ وإذا كانت المعمودية الأجنبي الذى يؤمن هى نقطة البدء لعيشته فى الإيمان المسيحى فألا تكون المعمودية لابنه هى نقطة البدء لتنشئته فى الإيمان المسيحى ؟ هذا وإن قبولنا للطفل باسم المسيح فى ملكوت السموات بطريق المعمودية ليس قبولا له فى « جسد المسيح » حتى ولا فى رمزه ، لأن رمز «الجسد الواحد» هو « الخبز الواحد » وليس المعمودية (١ كو ١٠ : ١٦) .

وفى بداية تأسيس المسيحية ، قال الرسول « إن كان أخ له امرأة (أى زوجة) غيرمؤمنة (أى لم تؤمن معه) وهى ترتضى أن تسكن معه (كزوجته) فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل (أى زوج) غير مؤمن (أى لم يؤمن معها) وهو يرتضى أن يسكن معها (كزوجها) فلا تتركه . لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة (المؤمنة) . والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل (المؤمن) وإلا" فأولادكم نجسون . وأما الآن فهم مقدسون (أى شرعيون ، أو مقبولون كبنين للطرف المسيحى) » (١ كو ٧ : ١٢ — ١٤) . فليست الزوجية هى التى قدست الأولاد بل المسيحية فى أحد الزوجين . ومن ثم فالرسول فى قوله « وإلا" فأولادكم نجسون » يشير إلى تث ٢٣ : ٢ « لا يدخل

ابن زنى فى جماعة الرب » . وأما قوله « أما الآن فهم مقدسون » فبالمباينة مع ما جاء فى عز ٩ : ٢ و ١٠ : ٢ و ٣ حيث قيل « اختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى . فلنقطع الآن عهداً مع إلهنا أن نخرج كل النساء ، والذين ولدوا منهن » . فاليهودية كانت تفصل المرأة التى أصرت على وثنيتها وأولادها عن زوجها اليهودى وعن شعب الرب المفرز له بالختان . أما المسيحية فى الزوجين ، أو حتى فى أحدهما ، فتقدس زواجهما للرب ، وتقدس أولادهما أو تفرزهم للرب وتعطى للطرف المسيحى حق تربيتهم له . والمعمودية هو الوسيلة الرسمية لفرزهم له .

الاستنتاج الثانى : هو أن الرسول بولس ملهماً فى كو ٢ : ١١ و ١٢ يقول : « وبه (أى بالمسيح) ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية ، بختان المسيح ، مدفونين معه فى المعمودية ، التى فيها أقمتم أيضاً بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات » . والمقصود بالختان هنا ناحيته الشرعية فى نظر الله وهى أننا متنا بموت المسيح . لأن قطع الغرلة كان رمزاً لاستحقاقنا للقطع بالموت كبشر أشرار واحتمل المسيح عنا هذه العقوبة فى موته . وهكذا احتسبنا أننا نحن الذين متنا . وبما أن الختان كان يجرى فى اليوم الثامن من عمر المولود ، إبن البالغ المختون (تك ١٧ : ١٢) ، وبما أن المسيح قام فى اليوم الأول من الأسبوع ، الذى بإضافته للأسبوع السابق له يكون هو اليوم الثامن — نتج أن اليوم الثامن الحرفى يحمل معنى قيامة المسيح ، ونوالنا الحياة الجديدة فى شخصه المقام ، وإحتسابنا قمنا ، بقيامته ؛ خليقة جديدة (أف ٢ : ٦ ، ٢ كو ٥ : ١٧) . والمعمودية ، باعتبارها دفناً فى الماء وانتشالا منه للشخص كله بكل جسمه تحمل كل هذه المعانى . فالختان والمعمودية صورتان يلتقيان فى موت المسيح وقيامته ، وموتنا بموته وقيامتنا بقيامته .

وكان لابد وأن يقبل الختان من البالغ الوثنى الذى آمن بالله كعلامة ظاهرة لإيمانه تميزه عن غيره كإبراهيم وأمثاله من الوافدين من الوثنية لذلك قيل عن إبراهيم . «آمن إبراهيم بالله فحسب له براً . . . وأخذ علامة الختان ختما لبر الإيمان» (رو ٤ : ٣ و ١١) . ولكنه فى ذات الوقت أمر أن يضع علامة الختان على كل من فى بيته . وفعلا «فى ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه وكل رجال بيته ، ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ، ختنوا معه» (تك ١٧ : ٢٦و٢٧) . كما وأمر أيضاً فى ذات الوقت أن يختن كل مولود جديد فى اليوم الثامن من ولادته (ع ١٢) كمسئول عنهم . لذلك قال عنه الله فى الأصحاح التالى لأمره إياه بالختان «لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلا» (تك ١٨ : ١٩) وقد نشأ من قيامه بهذه المسئولية على ذلك الأساس أنه سار معه وكيله لعازر الدمشقى فى طريق الإيمان وشب ابنه إسحق مؤمناً وتعلم كل منهما أن يلجأ بالإيمان إلى الله فى كل المناسبات (تك ٢٤ : ١٢ و ٢٧ و ٥٢ ، ٢٥ : ٢١) . وعلى هذه الطريقة نفسها شب كل من يعقوب ويوسف وموسى عن طريق التربية فى الإيمان .

وعلى فم موسى جدّد الرب هذه المسئولية لأفراد الأمة . فقال ليشوع وهو يسلمه التوراة «أجمع الشعب : الرجال والنساء والأطفال . . . لكى يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ، وأن يحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة . وأولادهم الذين لم يعرفوا ، يسمعون ويتعلمون» (تث ٣١ : ١٢ و ١٣) . وهكذا كان «لم تكن كلمة . . . لم يقرأها يشوع قدام جماعة إسرائيل والنساء والأطفال» (يش ٨ : ٣٥ ، قابل خر ١٢ : ١٤ و٢٦ مع ١٣ : ١١—١٥) . وبطريق تربية الآباء لأبنائهم فى إيمانهم حسب

المكتوب شب أيضاً فى الإيمان أمثال صموئيل (١ صم ١ و ٢) وداود (١ صم ١٦ و ١٧) وسليمان (٢ أى ١) . لذلك قيل « ربِّ الولد فى طريقه فمتى شاخ أيضاً لا يحيد عنه » (أم ٢٢ : ٦) .

وعلى هذه القاعدة أوصى الرسول الآباء المسيحيين فى العهد الجديد قائلا « أيها الآباء ، لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب (أو تعليم) الرب وإنذاره » (أف ٦ : ٤) أى فى إيمانكم المسيحى . ومتى عمل الرب فى كل طرف للقيام بواجبه شب أولاد المسيحيين فى الإيمان المسيحى . فعلى هذا المنوال شب تيموثاوس بالتربية مؤمناً حقيقياً . وقيل له « وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٣ : ١٥) وأيضاً « إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك ، الذى سكن أولا فى جدتك لوئيس وأمك أفنيكى ، ولكنى موقن إنه فيك أيضاً » (١ : ٥) . فالذى يقبل الإيمان لا يقبله لنفسه فقط بل ولأهل بيته أيضاً لتربيتهم فيه حتى يكون الإيمان ، إذا صار قلبياً فيهم ، سبب خلاص نفوسهم . ولذلك لما سأل حافظ السجن « ياسيدى ، ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص ؟ » كان الجواب « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك(*) » (أع ١٦ : ٣٠ و ٣١) . ولذلك كما نقرأ عن ختن بيت إبراهيم كله نقرأ عن تعميد بيت السجان كله ، إذ قيل « واعتمد فى الحال

(*) إن مبدأ « أنت وأهل بيتك » من حيث مسئولية رب البيت أمام الله عن بيته هو فى الواقع مبدأ الله المعمول به فى كل الكتاب . أنظر مثلا بيت نوح (تك ٦ — ٨) وبيت لوط (ص ١٤ و ١٩) وبيت إبراهيم (ص ١٧ ، ١٨) وبيت يعقوب (ص ٣٥) وبيت راحاب (يش ٢ و ٦) وبيت عاخان(ص ٧) وبيت عالى (١ صم ٢ — ٤) وبيت داود (٢ صم ١١ — ٢٠) وبيت زكا (لو ١٩) وبيت ليدية وبيت السجان (أع ١٦) وبيت استفانوس (١ كو ١ : ١٦ ، ١٦ : ١٥) وبيت انشيفورس (٢ تى ١ : ١٦ — ١٨) .

هو والذين له أجمعون . « إذ كان قد آمن بالله » (أع ١٦ : ٣٣ و ٣٤) ؛ وبيت ليدية كله ، كما قيل « فلما اعتمدت هى وأهل بيتها طلبت قائلة ، إن كنتم قد حكمتم أنى مؤمنة بالرب . . . الخ » (أع ١٦ : ١٥) ؛ وبيت استفانوس كله ، كقول الرسول « وعمدت أيضاً بيت استفانوس » (أكو ١ : ١٦) لقد كان فى بيت السجان بالغون غيره آمنوا معه ، حسب القول وكلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب . . . وتهلل مع جميع بيته » (١ع ١٦ : ٣٢ و ٣٤) . وكان فى بيت استفانوس بالغون غيره آمنوا معه ، أشير إليهم معه فى القول « أنهم باكورة أخائية ، وقد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين » (١كو ١ : ١٦) . ولكن هذا لا يقطع بأنه لم يكن هناك صغار أيضاً ولو فى بيت ليديّة على الأقل .

الباب الثاني

الخلاص وبركاته

الفصل الأول

الغفران

١ — الغفران الكامل الشامل للنجاة من العقوبة الأبدية

الكفارة أساسه ، والإيمان القلبي شرط نواله

من الأفكار الخاطئة الشائعة ، بكل أسف ، بين المسيحيين عن المسيح وكفارته وغفرانه : أن الرب يسوع لم يكفر إلا عن الخطية الأصلية التى ارتكبها آدم وحسبت على جنسه ، ومن ثم هى وحدها التى يعفى من دينونتها ولكنه يحسب كل خطايا الإنسان الفعلية ويدينه عليها ؛ أو أنه كفر أيضاً عن خطايا السالفين لمجيئه فى الجسد فقط ويعفو عنهم ، ولكنه يحسب على اللاحقين له خطاياهم ويدينهم عليها ؛ أو أنه على الأكثر كفر أيضاً عن الخطايا السالفة فقط لإيمان الذى يؤمن به ويعفو له عنها ، ولكنه يحسب عليه خطاياه اللاحقه لإيمانه ويدينه عليها : أما الحقيقة فهى :

أولا — أن المسيح كفر عن الخطية الأصلية ، ومن ثم قال عنها يوحنا المعمدان بصيغة الفرد «هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو ١ : ٢٩) وقال بولس الرسول «فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد» (رو ٨ : ٣) أى أنه صب ما تستحقه الخطية من دينونة ، على المسيح فى جسده الطاهر على الصليب .

ثانياً — أن المسيح كفر عن كل خطايا المؤمنين الفعلية سواءاً كانت بعلم أو بغير علم ، سابقة لمجيئه فى الجسد أو لاحقة ، سابقة لإيمانهم أو لاحقة . ومن ثم قال اشعياء عنها بصيغة الجمع قبل موت المسيح الكفارى «وهو (أى المسيح) مجروح لأجل معاصينا (أى معاصينا نحن الفعلية اليومية ، وليس معصية آدم الأصلية المفردة) ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه» . (أش ٥٣ : ٥) . وقال بطرس عنها أيضاً بصيغة الجمع بعد موت المسيح الكفارى «حمل هو نفسه خطايانا (أى خطايانا نحن الفعلية اليومية) فى جسده على الخشبة» (١ بط ٢ : ٢٤) . ولذلك قال عنه المؤمنون السابقون له ملهمين «وبحبره (أى وبجروحه) شفينا» (أ ش ٥٣ : ٥) ، وقيل عنه للمؤمنين اللاحقين له «وبجلدته (أى بحبره أو بجروحه) شفيتم» (١ بط ٢ : ٢٤) .

واحتمال المسيح لكل ما تستحقه الخطية الأصلية وخطايا المؤمنين الفعلية من دينونة إلهية هو الأساس الإلهى الوحيد لعفو الله عن الذى يؤمن من جهة كل ما يستحقه من دينونة سواء أكان بسبب الخطية الأصلية أو خطاياه الفعلية . لذلك قيل «بدون سفك دم (دم المسيح طبعاً) لا تحصل مغفرة» (عب ٩ : ٢٢) . وإذ سفك دمه ووفى للعدالة الإلهية كل مالها من حقوق ضد الخطية الأصلية وكل خطايا المؤمنين الفعلية ، أعلن الروح القدس بفم رسوله بطرس قائلا «له (أى للمسيح) يشهد جميع الأنبياء (أى أنبياء العهد القديم السابقين لمجيئه بالجسد) إن كل من يؤمن به ينال باسمه (أو باستحقاق دمه الموفى) غفران الخطايا (بغير تحديد إن كانت هذه الخطايا سابقة للإيمان أو لاحقة له)» (أع ١٠ : ٤٣) . لأنه لو بقيت خطية واحدة فقط من خطايا الذى آمن ، سابقة أو لاحقة لإيمانه ، لم يكفر عنها المسيح أو لم يغفرها له لكانت سبب هلاك أبدى له ، ولو كانت مجرد

فكر شرير . وهذا لأن أجرة الخطية هى موت ، لا أقل . ولكن المسيح قد قال عن جميع الذين آمنوا به ، الذين يعبر عنهم بخرافه الخاصة . « ولن تهلك إلى الأبد » (لو ١٠ : ٢٨) . وهذا لا يكون إلا إذا كانت كل خطاياهم التى ارتكبوها قد غفرت لهم غفراناً كاملا شاملا أبدياً من لحظة إيمانهم على أساس كفارة المسيح الكاملة الشاملة .

ولذلك ، قبل موت المسيح الكفارى ، يقول داود « باركى ، يانفسى ، الرب . . . الذى يغفر جميع ذنوبك » (مز ١٠٣ : ١ و ٣) ، وبعد موته الكفارى ، يقول بولس « أحياكم معه (أى مع المسيح) مسامحاً لكم بجميع الخطايا » (كو ٢ : ١٣) ويقول يوحنا « دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » (١ يو ١ : ٧) . ولذلك أيضاً قال المسيح للتى جاءته تائبة إليه مؤمنة به « مغفورة لك خطاياك (بغير تحديد) . . . إيمانك قد خلصك ، إذهبي بسلام (أى مطمئنة إلى مصيرك إنه السماء) » (لو ٧ : ٥٠) . ومن ثم يقول الرسول بطرس « كنتم غير مرحومين (من الذهاب إلى جهنم) أما الآن فرحومون » (١ بط ٢ : ١٠) .

هذا الغفران الشامل لكل الخطايا الفعلية المرتكبة مدى الحياة هو ما يحصل عليه كاملا كل من يؤمن ، فى لحظة إيمانه للنجاة به من العقوبة الأبدية . لذلك هو يناله كاملا شاملا مرة واحدة ، ولا يحتاج إلى طلبه أو نواله مرة أخرى . لذلك يقول الرب يسوع « الحق الحق أقول لكم ، أن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ، ولا يأتى إلى دينونة بل قد أنتقل من الموت إلى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) . وما كانت الدينونة لتُنفى أو الحياة الأبدية لتُمنح ، لو أن فى الحسبان الإلهى خطية واحدة بالفكر

أو بالقول أو بالعمل ، تحاسب عليها النفس سواء أكانت سابقة أو لاحقة للإيمان . لذلك يقول داود النبي عن الذى آمن ولا شيء من الدينونة عليه « طوبى للرجل الذى غفر إثمه وسترت خطيته ، طوبى لرجل لايحسب له الرب خطية » (مز ٣٢ : ١ و ٢) .

هذا الغفران الشامل لكل خطايا العمر من أوله لآخره ، هو غفران للخاطي الذى يتوب ويؤمن . وهو لخلاصه من العقوبة الأبدية ، من لحظة ايمانه .

ب — الغفران الذى به يسترد المؤمن بهجة الخلاص

الكفارة أساسه ، والاعتراف شرط نواله

إن الذى يؤمن ، وإن كان الله لايحسب له خطية لهلاكه ، لأنه قد غفر له كل خطاياه غفراناً أبدياً لخلاصه من جهنم ، إلا أن هذا الذى يؤمن ، إذا أخذ فى زلة مابعد إيمانه يحتاج لغفران من نوع آخر لغرض آخر . لأن الخلاص الأبدى الذى امتلكه من لحظة إيمانه (عب ٥ : ٩) له بهجة خاصة مقترنة به أشير إليها بعد نوال الخلاص فى حالة الخصى بالقول « وذهب فى طريقه فرحاً » (أع ٨ : ٣٩) ، وفى حالة السجان بالقول « وتهلل مع جميع بيته ، إذ كان قد آمن بالله» (أع ١٦ : ٣٤) . وقد أشار بطرس إلى بهجة الخلاص هذه بالقول « يسوع المسيح الذى وإن لم تروه تحبونه ، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن ، لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لاينطق به ومجيد ، نائلين (أو حيث قد نلتم) غاية إيمانكم خلاص النفوس (أو خلاص نفوسكم حسب الأصل) » (١ بط ١ : ٩) فالمؤمن ، إذا أخطأ ، وإن كان لا يفقد خلاصه ، إلا أنه يفقد بهجة الخلاص هذه . ولا سبيل إلى استرداده إياها

إلا بعمل مزدوج : جزؤه الأول من جانب المسيح وهو شفاعته ، وجزؤه الثانى من جانب المؤمن وهو توبته . وعن هذا يقول يوحنا الحبيب للمؤمنين « ياأولادى ، أكتب إليكم هذا لكى لاتخطئوا . (وهذا من أول واجبات الإنسان بعد إيمانه) . وإن أخطأ أحد (منا نحن المؤمنين) فلنا (نحن المؤمنين) شفيع (أو محام ، أو معين ، حسب معانى الكلمة الأصلية) عند الآب (لأن الكلام عن خطية أحد الأبناء) يسوع المسيح البار (أى الذى يمثل كل ابن أمام الله الآب فى كمال بره) ، وهو كفارة لخطايانا (نحن المؤمنين) » (١ يو ٢ : ١) . فالمسيح على أساس كفارته يعمل ، بالنسبة لخطية المؤمن ، أولا - كمحام ، إذ يحتفظ له فى ذاته بمقام القبول وبكل الحقوق التى اكتسبها له بدمه . ثانياً — كمعين إذ يشجع المؤمن ويسند إيمانه بما له فيه من قبول وحقوق بكيفية ثابتة ، ويعمل فيه أيضاً بروحه للشعور بذنبه والرجوع إلى الرب بروح التوبة والندامة والاعتراف وإدانة الذات بكل إخلاص للرب ولنفسه . ووصفاً لذلك يقول داود النبى ملهماً « يرد (الرب) نفسى ، يهدينى إلى سبل البر من أجل اسمه » (مز ٢٣ : ٣) . ويكمل يوحنا الوصف بالقول « إن اعترفنا (نحن المؤمنين) بخطايانا (إذا أخطأنا) فهو أمين وعادل (بالنسبة لكفارة ابنه) حتى يغفر لنا خطايانا (ليس الغفران الأبدى للخلاص ، بل الزمنى لرد بهجة الخلاص) ويطهرنا (أى يعمل على تقديسنا عملياً) من كل إثم » (١ يو ١ : ٩) . وفى هذه الحالة يرد الرب للمؤمن بهجة خلاصه ، فيعود للتمتع القلبى بفرح الرب وقوته .

أما إذا كان المؤمن ، فى حالة خطئه ، يحاول أن يغالط وينهى أمر خطيته مع نفسه بتجاهلها وإغضاء الطرف عنها ، فإن أمرها لن ينتهى ؛ إذ لا يرد الرب له بهجة خلاصه ، بل تشتد يد الرب عليه للتأديب . وعن ذلك يقول

النبي داود « لما سكت (أى لما قصدت أن أغمض عيني عن خطايي كأني لم أفعل شيئاً) بليت عظامي من زفيري اليوم كله (علامة الحزن المفرط والحرمان من بهجة الخلاص) ، لأن يدك ثقلت علي (لتأديبي في جسدي) نهاراً وليلا . تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ . سلاه » (مز ٣٢ : ٣ و ٤) . وإذ أخفق في استعادة بهجة الخلاص عن طريق المغالطة وجد أنه لا مفر من تسوية الأمر مع الرب عن طريق الاعتراف له بالشر وإدانة ذاته أمامه عليه ، فقال للرب « اعترف لك بخطيتي ، ولا اكتم إثمي . قلت ، اعترف للرب بذنبي (والنتيجة المباشرة) وأنت رفعت أثام خطيتي . سلاه » (ع ٥) ويقول عن ذلك أيضاً « اسمعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظام سحقتها . رد لي بهجة خلاصك (وليس رد لي خلاصك ، لأنه لم يفقد خلاصه أبداً) ، وبروح منتدبة اعضدني » (مز ٥١ : ٨ و ١٢) .

هذا الغفران الذي ينال بالاعتراف لاسترداد بهجة الخلاص هو المؤمن الذي امتلك الخلاص الأبدي من جهنم في لحظة إيمانه .

* * *

إن الأساس الإلهي الوحيد الذي بنى الله عليه بركة الغفران من كل وجوهه ، هو كما مر بنا : سفك دم المسيح الذي كفر عن الخطية والخطايا . والواسطة الوحيدة التي عينها الله للإنسان لينال بها الغفران هي ، كما مر بنا : الإيمان بالمسيح المكفر . وهذا ينتج عنه أمران :

الأول — إن الأصوام والصلوات والحسنات وغيرها لا تكسب الإنسان الخاطىء غفراناً للخلاص الأبدي ، لأن أجرة الخطية هي موت . وهذه الأعمال مع حسنها ليست هي الموت المطلوب أجرة للخطية . فهي كلها مجتمعة لا توفي حق الله ضد خطية واحدة . إذن ، فموت المسيح هو عين

ما كان مطلوباً ، ومن ثم فهو وحده الذى وفى كل حق لله . والإيمان القلبي به هو وحده الذى يكسب فوائد موته ، وليس الأعمال ، لذلك قيل « وأما الذى لا يعمل (للتكفير عن خطاياه لغفرانها) ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر (على أساس كفارة ابنه) فإيمانه يحسب له براً » (رو ٤ : ٥) . لقد كان كرنيليوس يحاول مخلصاً بتقواه وأصوامه وصلواته وحسناته أن يكفر عن خطاياه ويحظى بغفرانها . وإذ لم يكن هذا هو السبيل الصحيح ، أرسل الله إليه بطرس ليبشره بالرب يسوع إنه هو الذى كفر ، وإن « كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » (أع ١٠ : ٤٣) .

الأمر الثانى — هو أن التناول من عشاء الرب أيضاً لا يكسب إنساناً خاطئاً مغفرة خطاياه لنوال الحياة الأبدية . فقد اقتبس قول الرب خطأ عن كأس عشائه على هذا النحو : « هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين يعطى لمغفرة الخطايا » مما جعل الغفران مبنى على الشرب من الكأس ؛ فى حين إن صحة قول الرب هو « يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٨) بمعنى أن المغفرة مبنية على سفك الدم كالقول « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » والدم قد سفك والمغفرة قد أعدت ، ولم يبق إلا أن يمتلكها الإنسان . والإنسان يمتلكها ليس بالشرب من كأس عشاء الرب بل بالإيمان القلبي بالرب كمن سفك دمه للمغفرة ، كما سلف القول . لأن عشاء الرب ليس هو الذبيحة المقدمة عن الخطية أو الخطايا ، بل المسيح (راجع عب ٩ و ١٠) ؛ وليس الأكل من عشاء الرب هو الذى ينيل الغفران أو الحياة الأبدية ، بل الإيمان القلبي بالمسيح فى موته كالذبيحة مرة واحدة على الصليب . فعشاء الرب ليس للخطاة بالمرة ، لا ككفارة ، ولا للغفران ، ولا للحياة الأبدية ؛ بل هو للمؤمنين .

فقط يصنعونه تذكاراً لموت المسيح الذى ماتعنهم كذبيحة كفارية مرة واحدة على الصليب ، فنالوا فيه بالإيمان القلبي به كل هذه البركات . وهم يصنعون له هذا التذكار تنفيذاً لأمره « اصنعوا هذا لذكرى » (١ كو ١١ : ٢٤ و ٢٥) . ولم يقل قط اصنعوا هذا لمغفرة خطاياكم أو لتنالوا الخلاص أو الحياة الأبدية . قابل مت ٢٦ : ٢٦ — ٢٨ ، مر ١٤ : ٢٢ — ٢٤ ، لو ٢٢ : ١٧ — ٢٠ .

وأما ماجاء فى يوحنا ٦ فليس هو بالمرة عن عشاء الرب والأكل منه للذكرى ، بل هو عن شخص الرب ذاته فى بذل جسده وسفك دمه كفارة عنا ، والإقبال إليه مرموزاً إليه بالشرب ونوال الغفران والحياة ، مرموزاً إليه بالشبع والارتواء ، لذلك نقرأ «فقال لهم يسوع ، أنا هو خبز الحياة : من يقبل إلىّ فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً . . . من يقبل إلىّ لاأخرجه خارجاً . . . كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » (يو ٦ : ٣٥ و ٣٧ و ٤٠) . ومن ثم لم يأت قط فى أقوال الرب فى يوحنا ٦ قوله « اصنعوا هذا لذكرى » . لأن موضوع كلامه فى يوحنا ٦ ليس هو أكل عشاء الرب للذكرى ، بل هو إيمان القلب بالرب لنوال الحياة الأبدية فيه .

وكذلك أيضاً ، فإن التناول من العشاء الربانى لايكسب مؤمناً غفراناً لخطية أتاها ليسترد به بهجة الخلاص التى فقدها بسبب إتيانه لهذه الخطية ، لأنه لا يصح لمؤمن أن يشترك فى العشاء الربانى إلا وهو متمتع ببهجة الخلاص ، لذلك يقال « ولكن ليمتحن الإنسان (المؤمن) نفسه وهكذا (إذا لم يجد لديه مانعاً) يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . أما إذا وجد مانعاً فليزله أولا لإدانة ذاته عليه واعترافه به للرب « لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق (لعدم إزالته للموانع) يأكل ويشرب دينونة

لنفسه ، غير مميز جسد الرب » من حيث حالة القداسة اللائقة بذكراه
(١ كو ١١ : ٢٨ و ٢٩)

ج — الغفران لرفع التأديب عن المؤمن

الكفارة أساسه ، وما ترتئيه الحكمة الإلهية هو قاعدة نواله

إن اعتراف المؤمن للرب بخطيئته يرد له بهجة الخلاص فى الحال ، بل يمنحه القوة والسلام أيضاً ، ولكن ليس فى كل الحالات يرد له الرب السلامة لأن هذا يفعله الله طبقاً لمقتضيات التقديس الذى هو الغاية الإلهية الأولى من التأديب ، كما هو مكتوب أنه « لأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته » (عب ١٢ : ١٠) فإن رأى الرب أن النفس قد تقدست بالتأديب من إثمها تماماً حينئذ لا يرى مانعاً من أن يمتعها بالسلامة أيضاً نتيجة للغفران. ولكن إذا رأى الرب أن النفس لم تتدرب التدريب الكافى فإنه يبقى يده الضاربة ليمنع المؤمن من العودة إلى الخطأ . كما أن من المبادىء الإلهيــة أن « الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً » (غلا ٦ : ٧) . وفى التأديب أيضاً عبرة وعظة للآخرين .

لقد قضى الله على شمشون بتقليع عينيه ، وتقييده بسلاسل نحاس « وكان يطحن فى بيت السجن » وأخيراً مات فى وسط الأعداء وكان هذا للعبرة (قض ١٦) . كذلك رد الرب لداود بهجة خلاصه ، ولكن قد جازاه الله بما فعل بغيره ، إذ قضى الله عليه بتدنيس بيته جهراً ، لأنه قد دنس بيت قريبه سراً ، وجعل أعداء الرب يشمتون ؛ كما قضى عليه أن لا يفارق السيف بيته ، فقضى على أربعة من أولاده بالموت مقابل فرد يقضى هو عليه بالموت (٢ صم ١٢) لأن الله لا يشمخ عليه . فإن الذى يزرعه

الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٦ : ٧) . وكان كل هذا ، لا لتقديسه فقط ، بل ولصيانته أيضاً وللعبرة .

أما متى أنعم الرب على المؤدب بالغفران الذى يرفع عنه العقوبة التأديبية ففى هذه الحالة ينطبق عليه قول يعقوب « وصلاة الإيمان تشفى المريض ، والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٥) .

و — هل فى سلطان البشر أن يغفروا خطايا ؟

بعد كل ما فات ، بقى أن نسأل : هل فى سلطان البشر أن يغفروا الخطايا للخاطى لينال الخلاص ، أو للمؤمن ليسترد بهجة الخلاص ؟ الجواب : فى قول داود للرب « عندك المغفرة لكى يخاف منك » (مز ١٣٠ : ٤) لذلك نجد الرب هو الذى قال للخاطئة التى تابت إليه وآمنت به « مغفورة لك خطاياك إيمانك قد خلصك » وهو الذى قال له داود النبى كمؤمن اعترف له بخطيته « وأنت رفعت آثام خطيتى » وهو الذى قال عنه يوحنا الحبيب فى حالة اعترافنا كمؤمنين إليه بخطايانا - إنه « يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » .

إن الذى يغفر للخاطى أو للمؤمن خطاياه يتحتم أن يكون هو الذى كفر عنها بموته . وما دام المسيح هو وحده الذى استطاع أن يفعل هذا (قابل مز ٤٩ : ٧ — ٩ مع أى ٣٣ : ٢٣ و ٢٤ ، ١ تى ٢ : ٥ و ٦ و ١ يو ٢ : ١ و ٢) نتج ، بما لا يقبل الجدل ، أنه هو وحده الذى له حق أن يغفر للخاطى لخلاصه ، وللمؤمن لفرحه ، كما قال هو « أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » (مر ٢ : ١٠) .

ومن حقه هو أن يمنح الغفران ليس فقط ، لأنه هو الذى سفك دمه وكفر وجهز الغفران ، بل أيضاً لأنه هو الذى إليه اخطأنا ، وهو وحده

الذى من حقه أن يتنازل لنا عما له علينا فى حالة اعترافنا إليه . لأنه ليس من المعقول ولا من المقبول أن أخطىء فى حق واحد ، ويتنازل لى غيره عن هذا الحق ، بل يجب أن الذى يتنازل له عن الحق يكون هو صاحب الحق نفسه .

وهنا نصل إلى نتيجة ضرورية أخرى ، وهى أن اعترافى بالخطأ يجب أن يكون للرب ذاته الذى أخطأت إليه ، وليس لغيره . لذلك يقول داود للرب عندما أخطأ إليه « أعترف لك بخطيتى ، ولا أكتم إثمى . قلت : أعترف للرب بذنبى ، وأنت (الكلام للرب) رفعت آثام خطيتى » (مز ٣٢ : ٥) . أما قول داود لناثان « قد أخطأت إلى الرب » (٢ صم ١٢ : ١٣) فلم يكن اعترافاً من داود لناثان بخطيته ، بل رداً على كلام ناثان أقر بأن ما عمله كان فعلا خطأ فى حق الرب ، أى أنه كف عن المغالطة . أما اعترافه بخطيته فى حق الرب فكان للرب ذاته . اقرأ مز ٣٢ و ٥١ .

أما الغفران الذى أعطى للبشر أن يمنحوه ، فهو :

أولا — تنازلهم عن حقوقهم الشخصية التى لهم على بعضهم ، وهى الناتجة عن إساءتهم لبعضهم ، كقول الرسول « مسامحين بعضكم بعضاً . إن كان لأحد على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً » (كو ٣ : ١٣) . وهنا يتحتم أيضاً على المخطىء — علاوة على اعترافه للرب — أن يعترف بخطئه لمن أخطأ إليه ، كقول يعقوب « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (هذا واجب المخطئين) ، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا (وهذا واجب المسامحين) » (يع ٥ : ١٦) . وقوله فى الحالتين « بعضكم لبعض » ينفى فكرة وجود طبقة خاصة تتلقى الاعترافات وتقديم الصلوات :

ويثبت أن المعترف إليه هو أى واحد حصل الخطأ فى حقه ، والذى يصبح من واجبه فى هذه الحالة أن يسامح المعترف له ، ويصلى لأجل شفائه إذا كان قد مرض تأديباً له من الرب لأجل خطئه ، ولكى تكون الصلاة برهاناً أيضاً على مغفرته لمن أساء إليه .

ثانياً — قال الرب لرسله بعد القيامة « من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٣) . هذا السلطان للغفران كما للمسك ليس واضحاً فقط من وعد الرب ، بل وقد أشار إليه بولس أيضاً فى قوله لباريشوع « فتكون أعمى لاتبصر الشمس إلى حين » (أع ١٣ : ١١) لأن عبارة « إلى حين » هى بمثابة وعد برد البصر إليه فى حالة الرجوع والتوبة .. هذا الغفران كان من سلطان الرسل فى زمانهم ، وقد انتهى بانتهاء خدمتهم .

الفصل الثانى

التـــبرير

أ — التبرير أمام الله

الكفارة أساسه ، والإيمان القلبى شرط نواله

للإنسان تبرير يتبرر به كخاطىء أمام الله . ومعناه أن الله يعتبره باراً كأنه لم يرتكب إثماً ، مع أنه خاطىء وأثيم ، والتبرير كالغفران أساسه كفارة المسيح أو سفك دمه ، كما قيل « متبررون الآن بدمه » (رو ٥ : ٩) . ولكن برهانه فى قيامة المسيح : لأنه إذ أخذ المسيح مركزنا فى المذنوبية ومات ، كانت قيامته من الأموات دليلا على انتهاء مذنوبيتنا واعتبارنا

فيه أمام الله أبراراً ، لذلك قيل عنه « الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » (رو ٤ : ٢٥) . والإيمان هو واسطة نوال التبرير كالغفران ، فقيل « متبررين (أى حاصلين على منزلة أبرار) مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه . . لإظهار برّه فى الزمان الحاضر ليكون بارّاً (أى عادلا فيما يجود به) ويبرر (أو يجعل فى منزلة بار على أساس عادل) من هو من الإيمان بيسوع » (رو ٣ : ٢٤ - ٢٦) « لأن القلب يؤمن به للبر » (رو ١٠ : ١٠) وأيضاً « الذى لا يعمل (لأجل تبريره أمام الله) ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً . كما يقول داود أيضاً فى تطويب الإنسان الذى يحسب له الله براً بدون أعمال « طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم . طوبى للرجل الذى لا يحسب له الرب خطية » (رو ٤ : ٤ - ٨) « كما آمن إبراهيم بالله فحسب له برّاً » (غل ٣ : ٦) . وكما أن الغفران هو لخطايا الذى يؤمن لرفع عقوبة الموت عنه ، هكذا التبرير هو لشخصه أو هو وضع شخصه فى مركز بار فى المسيح أمام الله (أع ٧ : ٥٢ ، ١ بط ٣ : ١٨ ، أع ٢٢ : ١٤)

ولهذا التبرير نتيجته ، وهى أن يمنح المتبرر هبة الحياة كحق صار له فى المسيح ، فقيل « أما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رو٦:٢٣). وهذا هو « تبرير الحياة » (رو ٥ : ١٨) أو اعتبار الذى يؤمن باراً مستحقاً للحياة ، أو اذ قصد الله أن ينعم عليه بحياته أنعم عليه أولا ببرّه ، فصار حاصلا على البركتين : البرّ والحياة .

ولهذا التبرير أيضاً نتيجة أخرى للمتبرر ، وهى تمتعه بالسلام مع الله نفسه ، أو برضى الله عليه « وقبوله إياه فى المسيح وإدخاله إياه فى شركة حلوة معه ومع المسيح . لذلك قيل « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله

بربنا يسوع المسيح ، الذى به قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ، ونفتخر على رجاء مجد الله » (رو ٥ : ١ و ٢) .

ب — التبرير أمام الناس

وللذى يؤمن تبرير آخر يتبرر به بأعمال إيمانه . فهو كخاطىء تبرر أمام الله (أى حسبه الله باراً) بالإيمان . ولكنه كمؤمن يتبرر أيضاً أمام الناس (أو تتبرهن لهم صحة إيمانه) بأعمال إيمانه . ويقول يعقوب عن ذلك « هل تريد أن تعلم ، أيها الإنسان الباطل (أو الكاذب فى إيمانك) أن الإيمان بدون أعمال ميت (أى له اسم أنه إيمان وهو ليس إيماناً بالمرة) ؟ ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال (أو ألم يتبرهن أمام الناس إيمان قلبه بأعمال إيمانه) إذ قدم إسحق ابنه على المذبح (وهذا من أعمال الإيمان) كما قيل « بالإيمان قدم إبراهيم إسحق » (عب ١١ : ١١) ؟ فترى أن الإيمان عمل مع أعماله (إذ برره الإيمان كخاطىء أمام الله ، وبررته الأعمال كمؤمن أمام الناس) وبالأعمال أكمل الإيمان (أو تبرهن أنه إيمان قلبى صحيح) . وتم الكتاب القائل « وآمن إبراهيم بالله فحسب له براً » ودعى « خليل الله » . ترون ، إذن أنه بالأعمال يتبرر الإنسان (كمؤمن أمام الناس) لا بالإيمان وحده (كخاطىء أمام الله) (يع ٢ : ٢٠ — ٢٤) .

هذا فضلا عن أن « الإيمان وحده » أى الإيمان العديم الأعمال ليس هو الإيمان القلبى الحى الذى يبرره كخاطىء أمام الله .. فالإيمان الصحيح يبرر صاحبه كخاطى أمام الله ، ويبرهن صحته أمام الناس بحسن أعماله . لذلك يوصف بأنه « الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) .

الفصل الثالث

الولادة الثانية

ا — الكفارة أساسها ، والإيمان القلبي شرط نوالها

إن كفارة المسيح ، كما هى أساس منح الغفران والتبرير ، كذلك هى أساس منح بركة أخرى هى الحياة الجديدة أو الطبيعة الجديدة بالولادة الثانية التى من الله ، لذلك ، قال المسيح : « إن لم تقع حبة الحنطة (يقصد شخصه) فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها . ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير » (يو ١٢ : ٢٤) لذلك يقول الرسول بطرس عن نوالنا هذه الحياة فى شخص المسيح المقام من الأموات بولادة ثانية من الله « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات » (١ بط ١ : ٣) . ومن ثم أعلن المسيح عقب قيامته ، وليس قبلها ، بنوتنا لله بميلادنا الثانى منه بقوله للمجدلية « اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم ، إنى أصعد إلى أبى وأبيكم » (يو ٢٠ : ١٣) لأنه كما كانت قيامته انتقالا له كإنسان من الموت الذى ماته عنا باختياره إلى الحياة ، كذلك صارت ولادتنا الثانية انتقالا لنا من الموت إلى الحياة ، من موتنا نحن فى الخطية إلى الحياة الإلهية فى شخصه المقام من الأموات كإنسان .

ولا يولد هذه الولادة الثانية إلا كل من يقبل المسيح بالإيمان القلبى ، كما قيل «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنين باسمه ، الذين ولدوا ، ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا مشيئة رجل ، بل من الله » (يو ١ : ١٢ و ١٣) .

وكلمة الله هى التى تقدم لنا المسيح موضوعاً لإيماننا فى مجد لاهوته وفى قيمة موته ، كما يقول الرسول « إذن ، الإيمان بالخبر ، والخبر بكلمة الله » (رو ١٠ : ١٧) . ومن ثم للحصول على الولادة الثانية لابد من سماع أو قراءة الكلمة التى تبشرنا بالمسيح ، ولابد أيضاً أن تمتزج بالإيمان فى قلوبنا وإلا فلا فائدة من سماعها ، كما قال الرسول « لأننا نحن أيضاً قد بشرنا كما أولئك ، لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان فى الذين سمعوا » (عب ٤ : ٢) . ولكن إذ نقبلها نحن بالإيمان القلبي يمنحنا الروح القدس هبة الحياة بالولادة الثانية من الله . ومن ثم يقول الرسول عن أثر الكلمة فى الولادة الثانية « مولودين ثانية ، لامن زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد . . . وهذه هى الكلمة التى بشرتم بها » (١ بط ١ : ٢٣ و ٢٥) ويقول الرب عن عمل الروح القدس فى هذه الولادة الثانية « المولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) ، و « الروح هو الذى يحيي » (يو ٦ : ٦٣) .

ب — لزومها للوجود فى حضرة الله وللحصول على الميراث

إن الحصول على هذه الحياة الجديدة بالولادة الثانية ضرورى ، لأن طبيعتنا الآدمية ساقطة وفاسدة وشريرة . ومن ثم فنحن بها لانصلح ولا نقبل فى حضرة الله ، لذلك قال المسيح فى حديثه لنيقوديموس « إن كان أحد لايولد من فوق (أى من الله) لا يقدر أن يرى ملكوت الله . . . إن كان أحد لا يولد من الماء (الماء هنا رمز للكلمة كما مر بنا فى الكلام عن المعمودية) والروح لايقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٣ و ٥) . أما متى ولدنا من الله ، فإنه يصبح لنا طبيعة الله الأدبية ، ونصير بها أولاد الله

« وإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١٦ و ١٧) ، كما قيل أيضاً « ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات ، لميراث لايفنى ولا يتدنس . . . محفوظ فى السموات لأجلكم » (١ بط ١ : ٣ و ٤) . إنه لأمر طبيعى إن الابن يرث أباه . وهذا من النتائج الحتمية للولادة من الله . أن رجاء الوارث الأرضى فى ميراثه رجاء ميت ، لأن الموت يخرجه منه ويحرمه منه . أما الوارث السماوى فرجاؤه فى ميراثه رجاء حى ، لأنه ولو مات لا يكون الموت له إلا طريقاً لوصوله إلى ميراثه .

ج — لزومها لعيشة القداسة

وهى لازمة أيضاً لأن طبيعتنا القديمة بسبب سقوطها وفسادها لاتريد عمل أى صلاح لله ، بل وهى عاجزة عن عمله كل العجز ، كما قيل عنها « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله ، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله ، لأنه أيضاً لايستطيع . فالذين فى الجسدلايستطيعون أن يرضوا الله » (رو٨ : ٧ و ٨) ولكن لما ولدنا ثانية أصبحنا نستطيع أن نعمل بالطبيعة الجديدة ما لم نكن نستطيع أن نعمله بالطبيعة القديمة ، كما قال الرب « إن كنت تستطيع أن تؤمن كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) ، وكما قال الرسول « أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) . ومن ثم يقول بطرس عنا بعد حصولنا على هذه الحياة الجديدة بالميلاد الثانى « لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٤) ، ويقول بولس عن عمل الروح القدس فيها وبها « وأما الروح فحياة بسبب البر » (رو ٨ : ١٠) وأيضاً « اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٦) .

د — ما تحبه الطبيعة الجديدة فينا وما أعدته نعمة الله من وسائط لإعانتها به

تحب الطبيعة الجديدة كل ما يحبه الله

١ — القداسة : وهذا لأن الطبيعة الجديدة التي لنا من الله تتميز في ذاتها بالقداسة ، لأنها طبيعة الله القدوس ، لذلك قيل عنها «الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢٤) ، بخلاف الطبيعة القديمة التي لنا من الإنسان بالميلاد الأول فإنها تتميز بالخطية كما قيل عنا بها «هأنذا بالإثم صورت ، وبالخطية حبلت بي أمي » (مز٥١ : ٥) .

ومن ثم فالطبيعة القديمة فينا تحب الخطية وتبغض البر ، لذلك كانت في سيطرتها علينا تتحول بنا عن البر وتندفع بنا إلى الخطية اندفاع الكلاب والخنازير إلى القاذورات (١ بط ٢ : ١١) . أما الطبيعة الجديدة فينا فتبغض الخطية وتحب البر ، لذلك من وقت حصولنا عليها يتحول الروح القدس بنا عن نجاسات العالم ، ويقودنا إلى سبل البر لمجد الله كما قيل عنها ، « التي بها صرتم شركاء الطبيعة الإلهية ، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٤) « وإن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) .

ومحبة المولود من الروح للقداسة ليس سببه فقط أن القداسة هي طبيعة أبيه ، وطبيعته هو ، وما يميل إليه بطبيعته ، بل أيضاً لأنها السبيل الوحيد لتمتعه بالشركة الحلوة المتبادلة مع الآب ، والمشبعة لقلبه كما قال بولس « اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب ١٢ : ١٤) .

٢ — الصلاة : كما يميل الابن الطبيعي إلى الارتماء في حضن أبيه ، وإلى

مناجاته ، كذلك يميل كل ابن لله للتحدث إلى أبيه ، كما قيل : « بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب » (غل ٤ : ٦) . فوإن كانت القداسة هى سبيل الشركة ، فالصلاة هى الممارسة الفعلية للشركة بالتحادث مع أبينا المحادثات المشبعة لقلبه وقلوبنا ، كقول النبي : « أما أنا فالأقتراب إلى الله حسن لى » (مز ٧٣ : ٢٨) .

والصلاة من أهم الوسائط التى أعدتها نعمة الله لهذا الشبع المشترك ، لتكون مبعث قوة روحية لنا تمكننا من الابتعاد عن الخطيئة التى أبغضناها ، ومن اتباع البر الذى أحببناه ، كما قال الرب « صلوا لكى لاتدخلوا فى تجربة » (لو ٢٢ : ٤٠) ، ولذلك حضنا أيضاً بقوله « فى أنه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل » (لو ١٨ : ١)

٣ — كلمة الله : كما يميل الطفل للتغذى بلبن أمه ، هكذا يحب المولود من الله أن يتغذى بدسم الكلمة التى ولد بها ، كقول الرسول بطرس « كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنمو به » (١بط ٢ : ٢). وكما يجد الطفل كل لذته فى الرضاعة نهاراً وليلا من ثدي أمه ، كذلك المولود من الله « فى ناموس الرب مسرته ، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً » (مز ١ : ٢) لأنه كما يجد لذة عظمى فى تحدثه فى الصلاة إلى الله ؛ كذلك يجد لذة أعظم فى تحدث الله أبيه إليه فى الكلمة .

وكلمة الله أيضاً واسطة أخرى أعدتها نعمة الله للشبع بالرب والانتصار بقوته لمجده ، كما قيل « خبأت كلامك فى قلبي لكى لاأخطى إليك » (مز ١١٩ : ١١) ، لذلك حرضنا الروح بالقول « اعكف على القراءة » (١ تى

٤ : ١٣) ، ووصف الحالة والنتيجة بالقول « فى ناموس الرب مسرته ، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لايذبل ، وكل مايصنعه ينجح » (مز ١ : ٢ و ٣) .

٤ — الأخوة : كما أن الطفل فى براءة الطفولة يميل إلى إخوته ويحبهم ، كذلك المولود من الله يحب إخوته فى الرب ، كما قيل « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت (الروحى) إلى الحياة (الروحية) ، لأننا نحب الإخوة » (١ يو ٣ : ١٤) . وكما يجد الابن الطبيعى كل فرحه مع إخوته ، كذلك أيضاً لسان حال كل ابن لله « القديسون الذين فى الأرض ، والأفاضل ، كل مسرتى بهم » (مز ١٦ : ٣) .

ومعاشرة إخوتنا فى الرب بالمحبة الأخوية هى واسطة ثالثة من الوسائط التى أعدتها نعمة الله لتشددنا بالرب ، وانتصارنا على العدو ، كما قيل عن بولس من جهة الإخوة « فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع » (أع ٢٨ : ١٥) لذلك حض الرسول قائلا « اتبع البرّ والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى » (٢ تى ٢ : ٢٢) .

٥ — الاجتماعات باسم الرب : كما لايحلو للطفل إلا المكان الذى يجد فيه أباه ليتحادث معه ، وأمه ليتغذى بلبنها ، وإخوته ليفرح معهم ، كذلك لايحلو المولود من الروح إلا الاجتماع باسم الرب ، حيث يجد الفرصة للتحدث مع الآب ومع ابنه الحبيب ، ويجد الكلمة ليرضع ويشبع من ثديى تعزياتها (قابل أش ٦٦ : ١١) ، ويجد إخوته فى الرب ليتعزى معهم

بالإيمان المشترك فلذلك يقال « هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً » (مز ١٣٣ : ١) .

وهذه الاجتماعات باسم الرب ، وفى مقدمتها اجتماع كسر الخبز فى أول كل أسبوع هى واسطة أخرى للشبع بالرب ، والانتصار على قوات الشر ، والإنتاج لثمر البر ، كما قيل « وأما الكنائس . . فكان لها سلام ، وكانت تبنى ، وتسير فى خوف الرب ، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » (أع ٩ : ٣١) ، لذلك حضنا الرسول قائلا « غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة » (عب ١٠ : ٢٥) ، وكما قال أيضاً « لكى لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية » (عب ٣ : ١٣) .

٦ — عشاء الرب : كما أن تاج الاجتماعات العائلية فى نظر الطفل هو الاجتماع حول مائدة الطعام ، لأنه يجمع كل أفراد العائلة ، كذلك تاج الاجتماعات الروحية الكنسية فى نظر المولود من الروح هو اجتماع « كسر الخبز » لأنه يجمع كل أفراد عائلة الله على مائدة واحدة ، هى مائدة الرب يذكرون فيها موته لأجلهم ، كما قيل « وفى أول الأسبوع ، إذ كان التلاميذ (أى كالعادة المتبعة) مجتمعين ليكسروا خبزاً . . . الخ » (أع ٢٠ : ٧) . ولذلك يحضنا الروح بقدوة القدماء فى قوله « وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات » (أع ٢ : ٤٢) .

الفصل الرابع

سكنى الروح القدس فى المؤمن (*)

أ — الكفارة أساسه ، والإيمان القلبي شرط نواله

فى اليوم الخمسين من قيامة المسيح ، وهو اليوم العاشر من صعوده (اع ١ : ٣ مع ٢ : ١—٤) أرسل الله روحه ، على أساس موت ابنه وتمجيده ليسكن ، من ذلك اليوم فصاعدا ، فى الذين آمنوا ، وفى العتيدين أن يؤمنوا .

لأن الإيمان القلبي بالرب يسوع هو شرط نواله ، كما هو شرط نوال الغفران والتبرير والميلاد الثانى ، لذلك قال الرب يسوع « من آمن بى ، كما قال الكتاب ، تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يو ٧ : ٣٨ و ٣٩) ، وقال الرسول : « ننال بالإيمان موعد الروح » (غل ٣ : ١٤) ، وأيضاً : « إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (أف ١ : ١٣) .

ولم يكن الروح القدس ليسكن فى إنسان لم تغفر خطاياه ، لذلك قال الرسول بطرس « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨) . ولم يكن أيضاً ليسكن فى إنسان لم يولد ولادة ثانية ، لذلك قال بولس الرسول : « وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم » (غل ٤ : ٦) . وعليه

(*) سكناه فى جماعة المؤمنين وماترتب عليه من نتائج تجده فى الجزء الرابع ، جزء الحقائق الكنسية .

فسكنى الروح القدس فى شخص هو من أقطع الأدلة على حصول ذلك الشخص على مغفرة الخطايا والولادة الثانية ، بل وشهادة له بذلك ، فقيل « الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » (رو ٨ : ١٦) .

الفصل الخامس

التبنى

كان الرب بروحه يعمل فى العهد القديم مع الخطاة للتوبة والتماس مراحم الله باتباع الطريق التى رسمها لهم الله ، وهى التقدم إليه بالذبيحة الحيوانية التى كانت ترمز للمسيح فى موته كالطريق الوحيد الموصل لله وللقبول لديه . وكان الله بذلك يحسب لهم ذبيحة المسيح العتيدة . وقد أشار الرب إلى عمله بروحه فى التبكيت ، بقوله « يدين روحى فى الإنسان » (تك ٦ : ٣) ، كما أشير إلى التماس التائب لرحمة الله بالقول « وقدم هابيل أيضاً (قرباناً للرب) من أبكار غنمه ومن سمانها » (تك ٤ : ٣ و ٤) ، وكذلك أشير إلى علامة الرحمة فى نزول نار الله والتهام الذبيحة بالقول « فنظر الرب إلى هابيل وقربانه » (تك ٤ : ٤) .

وبالتبعية كان الرب بروحه يعمل فى هؤلاء الذين يتوبون ويؤمنون لإحياء نفوسهم بحياته الإلهية ، كما قيل : « والبار بإيمانه يحيا » (حب ٢ : ٤ قابل رو ١ : ١٧ ، غل ٣ : ١١ ، عب ١٠ : ٣٨) ؛ كما ويعمل فيهم بروحه للتقديس ، كما قال أحدهم « علمنى أن أعمل رضاك لأنك أنت إلهى . روحك الصالح يهدينى فى أرض مستوية » (مز ١٤٣ : ١٠) .

وكذلك كان الرب بروحه يلهم الأنبياء بوحيه ، كما قيل « تكلم أناس

الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) ؛ كما كان أيضاً بقوة روحه يعمل على أيديهم المعجزات ، كما قيل عن شمشون « وإذا بشبل أسد يزمجر للقائه ، فحل عليه روح الرب فشقه شق الجدى ، وليس فى يده شيء » (قض ١٤ : ٥ و ٦).

ولكن لم يكن روح الله ساكناً فيهم بأقنومه الإلهى ، كما قيل « لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد (للسكنى بأقنومه) لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » (يو ٧ : ٣٩) . وترتب على ذلك عدة نتائج ولا سيما لمن كان منهم تحت الناموس ، منها :

ا — كانت خطاياهم مغفورة دون أن يكون ذلك معلناً لهم

بسبب إيمانهم برحمة الله وإطاعتهم ترتيبه فى تقديم الذبيحة الرمزية حسب الله لهم الذبيحة الحقيقية ، وغفر لهم خطاياهم ، كما قيل « إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول (وهو العهد القديم السابق لمجئ المسيح) » (عب ٩ : ١٥) ، كما قيل أيضاً عن المسيح « الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه (المعلن لنا نحن فى الإنجيل بعد سفكه ، والمرموز إليه قبل سفكه — على غير علم منهم — بدم الذبائح التى كانوا يقدمونها) ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة (أى خطاياهم كمؤمنى الزمان السالف لموت المسيح) بإمهال الله » (رو ٣ : ٢٥) .

والدليل على أن هذا هو المعنى المقصود ، قوله بعد ذلك « لإظهار بره فى الزمان الحاضر (أى زماننا الحالى اللاحق لموت المسيح) ليكون (الله) باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع » (رو ٣ : ٢٥ و ٢٦) . ولكن إذ لم يكن ذلك الصفح معلناً لهم ، لم يكن لهم علم به ، ومن ثم — حتى جاء

المسيح وأكمل الفداء وأعلنه فى الإنجيل لكل من يؤمن به - ظلوا يقدمون الذبائح (عب ١٠ : ١) ، ويلتمسون المغفرة ، كما قال أحدهم « يارب ، اغفر إثمى لأنه عظيم » (مز ٢٥ : ١١) .

(ب) كانوا متبررين ، دون أن يعلن لهم ذلك

على نفس الأساس (أى دم المسيح) ، وبنفس الواسطة (أى الإيمان) برهم الله أو حسبهم أبراراً ، وهم لايدرون لنفس الأسباب (وهى أن المسيح لم يكن قد جاء ، ولا أكمل الفداء ، ولا أرسل روحه ليوحى بإنجيله معلناً فيه نوال المؤمن لهذه البركات) . لذلك قيل مثلا عن هابيل «بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين (باعتبارها دموية ترمز لموت المسيح) فيه (أى بالإيمان) شهد له أنه بار ، إذ شهد الله لقرابينه (أى أن الله حسبه باراً ليس فى ذاته بل فى قرابينه البريئة) » (عب ١١ : ٤) . وقيل عن نوح « صار وارثاً للبر الذى حسب الإيمان » (ع ٧) وعن إبراهيم « فآمن بالرب فحسبه له براً » (تك ١٥ : ٦) كما يقول داود أيضاً فى تطويب الإنسان الذى يحسب له الله براً بدون أعمال «طوبى للذين غفرت آثامهم ، وسترت خطاياهم . طوبى للرجل الذى لايحسب له الرب خطية » (رو ٤ : ٦ - ٨) . وإذ لم يكن هذا التبرير معلناً لهم ، وليسوا عالمين بامتلاكهم إياه ، ظلوا مدى حياتهم يلتمسونه ، كقول أحدهم « كيف يتبرر الإنسان عند الله ؟ » (أى ٩ : ٢ قا ٢٥ : ٤) .

(ج) كانوا أبناء لله دون أن يكون ذلك معلناً لهم

على أساس دم المسيح أيضاً ، وبنفس واسطة الإيمان ، ولدهم الله ثانية وصاروا أولاداً لله ، وهم لايعلمون : فلا إدراك لبنوتهم ، ولا تقدم إلى

الله بثقة البنين ، بل خوف العبيد من الطرد والحرمان . ويدل على كل ذلك قول الرسول : « وإنما أقول مادام الوارث (لله ، وهو المولود من الله) قاصراً (أى غير مدرك لبنوته) ، لا يفرق شيئاً عن العبد ، مع كونه صاحب الجميع . بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه (وهو وقت العهد الجديد ، وقت الإعلان عن البنوة) هكذا نحن أيضاً لما كنا (أى الأبناء فى العهد القديم) قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم (وهو الناموس الذى هو مجموعة أوامر السيد للعبيد مقترنة بالتهديد والوعيد) » (غل ٤ : ١ — ٣) ومن ثم كان من أهم أغراض كفارة المسيح ، عتق البنين من روح العبودية ، وتمتعهم بروح البنوية ، كما قيل بعد ذلك « ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال (نحن الباقين إلى مابعد الكفارة وحلول الروح القدس) التبنى . ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب . إذن ، لست بعد عبداً بل ابناً » (غل ٤ : ٤ — ٧ قا رو ٨ : ١٤ — ١٦) . وأيضاً « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية . لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم (وهو النسل الروحى لإبراهيم أو أولاد الله) . من ثم كان ينبغى (للابن) أن يشبه إخوته فى كل شىء (أى فى أخذه صورة أولاد الله أبيه ، بالتجسد) » (عب ٢ : ١٤ — ١٧) .

(د) إذ كانوا أبناء لله كانوا أيضاً ورثة له دون أن يكون ذلك معلناً لهم . بسبب بنوتهم لله كانوا بطبيعة الحال ورثة الله ، ومصيرهم السماء مثلنا

تماماً . ولذلك قيل « إذ اراد الله أن يظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد (فى العهد القديم) عدم تغير قضائه توسط بقسم » (عب ٦ : ١٣ — ١٧) « ولأجل هذا هو (أى المسيح) وسط عهد جديد لكى يكون المدعوون (فى العهد القديم) إذ صار موت (هو موت المسيح مرموزاً إليه فى الذبائح على غير علم منهم) لفداء التعديات (أى تعدياتهم أوخطاياهم) التى فى العهد الأول (العهد القديم) ، ينالون وعد الميراث الأبدى . لأنه حيث توجد وصية (بتوريث) يلزم بيان موت الموصى . لأن الوصية (للتوريث) ثابتة (أى نافذة المفعول) على الموتى ، إذ لاقوة لها البتة مادام الموصى حياً (والموصى بالميراث هو الله المورث لأولاده . ولكى تكون وصية التوريث نافذة المفعول بيّن الله حقيقة موت المسيح (الله الظاهر فى الجسد) فى الذبائح ليكون موته هو الأساس الشرعى لفداء تعديات وتوريث مؤمنى العهد الأول مقدماً) . فمن ثم (العهد) الأول أيضاً لم يكرس بلا دم (دم الذبائح الذى بسبب اعتمادهم عليه حسب الله لهم مقدماً دم المسيح) (عب ٩ : ١٥ — ١٨) لذلك قال الرب عن لعازر المسكين ، أحد مؤمنى العهد القديم « مات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم » (لو ١٦ : ٢٢) ، وقال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب « الجميع عنده (أى عند الله فى السماء) أحياء » (لو ٢٠ : ٣٨) ، كما نقرأ عن إصعاد إيليا إلى السماء (٢ مل ٢) ، كما نقرأ عنه وعن موسى معه على جبل التجلى فى سحابة السماء (لو ٩) ولكن إذ لم يكن هذا معلناً لهم كانوا يجهلونه ، ومن ثم كانوا يخافون من الموت وما بعده ، كخوف حزقيا الملك ، وفرحه بامتداد حياته فى الجسد على الأرض (٢ مل ٢٠) . لذلك قيل عنهم « مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد مع كونه صاحب الجميع » (غل

٤ : ١) . أما نحن فأعلن لنا ، فقيل « إن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ، ورثة الله ، ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١٧ قابل غل ٤ : ٧ ، ١بط١ :٣ و ٤) . لذلك لايخشى أحدنا الموت ، أو ما بعده ، بل يرحب به ، كقول بولس الرسول « لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح . . . لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً » (فى ١ : ٢١ و ٢٣) .

هـ — ما أعلن بعد أن كان مكتوماً

لقد كان بر الله موجوداً ، وكذلك نعمته المخلصة وطريقه إلى الأقداس السماوية ، ولكن ، إذ لم تكن كفارة المسيح ، التى هى الأساس الإلهى لهذه كلها ، قد قدمت بعد ، كانت هذه كلها غير معلنة ، وبالتبعية غير معلومة ، رغم كل الرموز إليها ، والنبوات عنها . ومن ثم ، على غير علم منهم ، تبرروا بالإيمان على أساسها قبل تقديمها ، وخلصوا بالنعمة ، ووصلوا إلى الأقداس السماوية فى طريقها ، أما بعد تقديم الكفارة فقد « ظهر بر الله » (رو ٣ : ٢١) و « ظهرت نعمة الله » (تى ٢ : ١١) وظهر الطريق إلى الأقداس السموية (عب ٩ : ٨) . أى أنها أعلنت ، وأصبح أمرها معلوماً ، وأصبح حصولنا عليها بالإيمان بعلم منا ودراية . فنقرر أننا « قد تبررنا بالإيمان » (رو ٥ : ١) ، وأننا « بالنعمة مخلصون » (أف ٢ : ٨) وأن « لنا ثقة الدخول إلى الأقداس بدم يسوع » (عب ١٠ : ٩) . ومن ثم ، قيل أن يصير المؤمنون الحقيقيون فى إسرائيل تحت الناموس (خر ١٩ الخ) ، استطاع الله أن يوجه قلوب الآباء إلى السماء ، ويشعرهم أن لهم عنده ما يبتغون ، فيقال عنهم « يبتغون وطناً أفضل أى سماويا . لذلك لا يستحى بهم الله أن

يدعى إلههم لأنه أعد لهم مدينة » (عب ١١ : ١٦) . لذلك قيل عن أحدهم أيضاً وهو إبراهيم أنه « كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » (عب ١١ : ١٠) .

الفصل السادس

التقـــديس

أ — التقديس الشرعى بدم المسيح

١ — المؤمن مقدس أو مخصص أو مفرز لله .

قيل فى التوراة عن فرز الأشياء والأشخاص أو تقديسها الرب « وإذا قدس إنسان بيته قدساً للرب . . فإن كان المقدس يفك بيته . . كل محرم . . من الناس والبهائم ومن حقول ملكه فلا يباع ولا يفك . . . هو قدس أقداس للرب » (اقرأ لا ٢٧) .

والمسيحى ، إذ هو مشترى بدم المسيح ، أصبح ملكا للرب ، قدساً للرب ، وليس ملكا لنفسه ، ولا لغيره . والمشترى قد وضع ختم روحه على مشتراه إثباتاً لملكيته . « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، وإنكم لستم لأنفسكم ؟ لأنكم قد اشتريتم بثمن (هو دم المسيح) . فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » (١ كو ٦ : ١٩ و ٢٠) « قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس » (١ كو ٧ : ٢٣) « إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (أف ١ : ١٣) . ولذلك قيل أيضاً إن « يسوع . . . لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب » (عب ١٣ : ١٢) . كما قيل عنه وعنا « المقدس والمقدسين جميعهم من واحد » (عب ٢ : ١١) .

٢ — للمؤمن مقام قديس فى المسيح . لأنه كما مثله المسيح على الصليب حاملاً على نفسه كل نجاسته ، نائباً عنه فى احتمال كل قصاصه ، اكتسب له عدلاً وشرعاً حق تمثيله وظهوره أمام الله فى شخصه ، محسوباً له كل قداسة المسيح كأنها قداسته هو ، كما قيل عن المسيح « قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه » (كو ١ : ٢٢) وكما قيل عن الآب « اختارنا فيه (أى فى المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة (أو « فى المحبوب ») (أف ١ : ٤) . ولذلك يخاطبون كقديسين ، بالقول « من ثم ، أيها الإخوة القديسون » (عب ٣ : ١) . ولأنهم قديسون فى شخصه بفضل دمه أصبح لهم فيه نفس الحق الذى له فى الوجود فى حضرة الله فى السماء ، كما قيل عن الآب إنه « أحيانا مع المسيح . . وأقامنا معه وأجلسنا معه (أو معاً) فى السماويات فى المسيح يسوع » (أف ٢ : ٥ و ٦) .

ب — التقديس بالحصول على طبيعة القداسة بالميلاد الثانى

لم يكن لإنسان أن يدخل السماء الطاهرة ، مكان سكنى الله القدوس ، لمجرد أن خطاياه غفرت وإنه حسب احتسابا بدم المسيح أنه بار أو قديس ، بل وكان لابدّ أيضاً من حصوله بالميلاد الثانى على طبيعة القداسة التى يصبح بها أهلا لدخول السماء ، مكان القداسة ، وليتمكن بها من عيشة القداسة . وهذا ماحصل لكل من آمن فى لحظة إيمانه ، بفضل قيمة دم المسيح . فكما للمؤمن مقام قديس فى المسيح ، كذلك له — بالمسيح فيه — طبيعة قديس ، قال عنها الرسول « لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية ، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٤) .

ولا فرق بين التبرير والتقديس من هذه الناحية . لأنه كما أن التبرير أكسب المبرر مقام بار وطبيعة بار لوراثة السماء ولعيشة البر ، كذلك التقديس أكسب المقدس مقام قديس وطبيعة قديس لنفس الغايتين . كل الفرق هو أن التبرير (وهو موضوع رسالة رومية) ينظر إلى الخطية كجرم يودى بصاحبه إلى جهنم ، أما التقديس (وهو موضوع رسالة العبرانيين) فينظر إلى الخطية كدنس يمنع صاحبه من الدخول إلى السماء . والخطية فى صفتيها تمنع الإنسان من العيشة فى البر والقداسة .

ج — التقديس العملى المؤمن بقوة وعمل روح الله القدوس فيه

لقد أصبح المؤمن ، بحصوله على طبيعة البر والقداسة مؤيداً بقوة روح الله فيها ، قادراً بنعمة الله على مسلك البر وقداسة الحق . وهذا هو عمل الله فينا بطبيعته وقوة روحه وفعل كلمته ، لذلك قيل «وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام . ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجىء ربنا يسوع المسيح » (١ تس ٥ : ٢٣) ، أيضاً « الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق » (٢ تس ٢ : ١٣) ، وأيضاً « مملوئين من ثمر البر الذى بيسوع المسيح لمجد الله وحمده » (فى ١ : ١١) . وهذا التقديس العملى فى غاياتنا وتصرفاتنا هو عمل الله فينا « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٣) . ولابد أن يكمله فينا إلى النهاية ، كما قال الرسول « واثقاً بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملا صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح » (فى ١ : ٦). ويقول الرب نفسه « وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكى تظهر أعماله إنها بالله معمولة» (يو ٣ : ٢١) .

وكما أن هذا التقديس العملى هو عمل الله فينا بقوة روحه ، وهذه ناحية

امتياز ، كما أنها ناحية مسئوليتنا . لذلك يقال « اتبعوا السلام مع الجميع ، والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) ، ورؤية الرب هنا هى رؤيته الروحية بالقلب ، أو فرح القلب بالتمتع به بقوة روحه كما قال الرب « طوبى الأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) أى يعاينونه معاينة حالية روحية . ثم يقال أيضاً « فإذ لنا هذه المواعيد ، أيها الأحباء ، لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة فى خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) أو كما يقول بطرس « نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة . لأنه مكتوب «كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٥ و ١٦) وأيضاً « طهروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء ، فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر ، بشدة » (ع ٢٢) .

الفصل السابع

الطبيعتان

أ — الطبيعة القديمة هى فى كل مؤمن

قد نجونا من خطر الذهاب إلى جهنم لحصولنا على مغفرة خطايانا ، كما نجونا من خطر الحرمان من السماء بحصولنا على الميلاد الثانى . الا أنه يوجد تعرضنا للخطأ ووجه الخطر أن الخطأ فى ذاته نجاسة وشر . ونحن بالميلاد الثانى حصلنا على طبيعة القداسة والبر التى تنفر من النجاسة والشر ، فضلا عن إنها معصومة لايأتى منها خطأ لأنها طبيعة المسيح فينا . فمن أين يأتى الخطأ ، إذاً ؟ الجواب الذى لامهرب منه هو أن الطبيعة القديمة باقية فينا ،

وهى مصدر الخطأ . ولكنها ليست هى العلة المباشرة للخطأ ، وإلا لكان بقاؤها فينا عذراً لنا ، وحاشا ! وإنما العلة الحقيقية للخطأ هى عدم سهرنا ضدها بالشركة مع الله عن طريق وسائط النعمة مع عدم الهرب من مسببات هياجها أو تحركها للعمل .

ب — الطبيعة الجديدة فينا هى طبيعة المسيح لا سواه

أن الملائكة الأطهار كخلائق كانوا عرضة للسقوط . وقد سقط بعضهم فى الخطية بدون تجربة ، وفقدوا طبيعة طهارتهم ، وأصبحوا أرواحاً نجسة أو ملائكة أشراراً . وكذلك الإنسان الطاهر أيضاً كخليقة كان عرضة للسقوط . وقد سقط فى الخطية بتجربة من الشيطان ، وفقد طهارة طبيعته وصار إنساناً نجساً شريراً . أما المسيح ، الذى بتجسده صار بطبيعة الحال ، انساناً قدوساً ، فهو الكائن الوحيد الذى لم يسقط فى خطية ما « لم يفعل خطية » (١ بط ٢ : ٢٢) لا بتجربة « مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية » (عب ٤ : ١٥) ولا بغير تجربة « من منكم يبكتنى على خطية ؟ » (يو ٨ : ٤٦) . وبهذا اتضح أن العصمة لله وحده ، كما قال الرب « ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » (لو ١٨ : ١٩) ، وأنه ما من طبيعة طهارة مخلوقة يمكن أن تثبت على حالها من تلقاء نفسها ، سواء كانت ملائكية أو بشرية ، وأنه ما من طبيعة طهارة قدوسة فى ذاتها ومعصومة فى قداستها الا طبيعة الله وحده . لذلك لما قصد الله أن يخلصنا من حالتنا الراهنة أعطانا بميلاد ثان منه تعالى طبيعة قداسة من طبيعته تعالى ، طبيعة معصومة لا تسقط أبداً . فأنعم علينا بحياة ابنه كالإنسان الثانى المقام من بين الأموات ، التى هى فى الوقت

نفسه « حياة الله » ، (أف ٤ : ١٨) الحياة التي نحن بها مخلوقون في المسيح يسوع » (أف ٢ : ١٠) « خليقة جديدة » (٢كو ٥ : ١٧) ، على صورة الله خالقنا « في البر وقداسة الحق » (كو ٣ : ١٠ ، أف ٤ : ٢٤) ، الحياة التي بها صرنا « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) ، أو التي بها صارت لنا شركة في طبيعة قداسة الله . فنحن لم نرجع ، بالميلاد الثاني ، إلى حالة آدم ، الإنسان الأول في طهارته قبل السقوط ، بل قد انتقلنا بها إلى حالة المسيح الإنسان الثاني ، الجديد ، والغير القابل في طبيعته لما كان آدم قابلا له في طبيعته من سقوط وهلاك . لذلك قيل عن المؤمن الحقيقي بطبيعته الثانية الجديدة التي هي طبيعة المسيح فيه « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله » (١ يو ٣ : ٩) و « كل من ولد من الله لا يخطىء ، بل المولود من الله يحفظ نفسه ، والشرير لا يمسه » (١ يو ٥ : ١٨) .

ج — التجديد والتغيير للطبيعة القديمة

ليس معنى الولادة الجديدة تجديد طبيعتنا القديمة ، الآدمية أو تغييرها تدريجياً أو فجائياً بواسطة من الوسائط إلى طبيعة المسيح . وكلمة « تجديد » وكلمة « تغيير » الواردتان في الكتاب لا تدلان على شيء من ذلك . وإليك بيان المقصود منهما في مواضع ورودهما : « خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة (أو بالمعرفة) حسب صورة خالقه » (كو ٣ : ١٠) « إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » (٢كو ٤ : ٦) فالذي يتجدد ليس هو الإنسان العتيق أو الإنسان

الخارج بل الإنسان الجديد أو الإنسان الداخل . وتجديد الجديد معناه نموه في جدته التي هي « جدة الحياة » (رو ٦ : ٤) أو الحياة الجديدة لمن نالوها . ويقال أيضاً « تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » (رو ١٢ : ٢) « وتتجددوا بروح ذهنكم » (أف ٤ : ٢٣) وهنا الذي يتجدد هو الذهن أو نحن بروح ذهننا وهذا معناه نمونا في الحياة الجديدة المستنيرة بقوة الروح القدس ، وتغيرنا بذلك عن شكلنا ليس معناه تغيير في طبيعتنا القديمة بل تغيير تصرفاتنا في الخارج ، لأنه تغيير في الشكل طبقاً لتجديد أذهاننا في الداخل . وقيل أيضاً « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » (٢ كو ٣ : ١٨) وكلمة « نتغير » هنا أيضاً لا تدل على تغيير في طبيعتنا القديمة بل على تغييرنا نحن في تصرفاتنا الأدبية لنكون على صورة مجد الرب يسوع الأدبى بقوة روحه فينا الذى يمتعنا به ويصوره في أحشائنا ويظهره بصورته الأدبية المجيدة في حياتنا ، وهذا بكيفية نامية باضطراد عن طريق الشركة الروحية معه . أما قول الرب لتلاميذه « في التجديد ، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضاً الخ » (مت ١٩ : ٢٨) فالمقصود به تجديد الخليقة مستقبلا للملك (مز ١٠٤ : ٣٠) . أما قول الرسول : « لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة » (عب ٦ : ٦) فعن رفض النفس للعمل الروحي للنهوض بها للتوبة ، وعليه فمع أن كلمة « تجديد » اصطلاح شائع بين المسيحيين ، إلا أننا يجب أن نحتفظ بما للولادة الجديدة من معنى صحيح وهو حصولنا بها على طبيعة جديدة بالكلية ، ونستبعد من أفكارنا كل الإستبعاد أن الولادة الجديدة هي تجديد لطبيعتنا القديمة أو تغيير لها من قديمة إلى جديدة لأنه من المحال أن تستحيل النجاسة إلى قداسة أو الخطية إلى بر ، كما قيل

« هل يغير الكوشى جلده ، أو النمر رقطه ؟ » (أر ١٣ : ٢٣) أيضاً « ولو دققت الأحمق فى هاون . . . لاتبرح عنه حماقته » (أم ٢٧ : ٢٢) وأيضاً « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) وأيضاً « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله . اذ ليس هو خاضعاً لناموس الله ، لأنه أيضاً لايستطيع . فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله (رو٨: ٧ و ٨)- وإنما غاية المشروع الإلهى الآن هى انتصار طبيعة البر فى المؤمن الحقيقى على طبيعة الخطية ، ثم استئصال طبيعة الخطية منه واستبقاء طبيعة البر بخلع الجسد فى الرقاد أو تغييره فى الاختطاف .

د — لاطبيعتان إلا فى المؤمن الحقيقى

مادامت الولادة الثانية لم تغير طبيعتنا القديمة إلى جديدة بل اعطتنا طبيعة جديدة غير القديمة بالكلية ينتج أن الطبيعة القديمة باقية فينا . كما وينتج أن فينا نحن المؤمنون دون سوانا ، توجد هاتان الطبيعتان المختلفتان أدبياً عن بعضهما كل الاختلاف : الطبيعة القديمة ، طبيعة الخطية الموروثة من آدم بالولادة الأولى ، والطبيعة الجديدة ، طبيعة القداسة المستمدة من المسيح بالولادة الثانية . القديمة تسمى « الجسد » نظراً لسيطرتها بشهوات الجسد على أفكار الروح وميول النفس وأعضاء الجسد بكيفية جعلت الإنسان جسدانياً كما لو كان كله جسداً . كما قيل : المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) أما الجديدة فتسمى الروح » لصدورها من الروح القدس ولأنها قدوسة روحانية ، ولأن الروح القدس يسيطر بها على أفكار وروح المؤمن وميول نفسه وحركات أعضاء جسده بكيفية تجعل المؤمن روحانياً فى حالة تصرفه بها كما لو كان كله روحاً ، كما قيل « المولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) لذلك يقول لنا الرسول « اسلكوا بالروح فلا

تكملوا شهوة الجسد . لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر » (غل ٥ : ١٦ و ١٧). والروح هنا ليس هو روح الإنسان ، ولا الطبيعة الجديدة ، بل الروح القدس الساكن فيها ، والمسيطر على الموقف فى المؤمن بدليل قوله بعد ذلك « ولكن إذا انقدتم بالروح الخ » (غل ٥ : ١٨) والروح الذى ينقاد به المؤمنون هو روح الله كقوله « الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » (رو ٨ : ١٤) . فواضح من كل هذا أنه ليس للمؤمن طبيعة واحدة بل طبيعتان ، تختلف إحداهما عن الأخرى كل الاختلاف فى الأصل والميول ، وهذا الاختلاف بينهما واضح من وجود المقاومة بينهما لأن طبيعة قداسة المسيح فينا يستحيل عليها أن تفعل شراً « كل من هو مولود من الله لا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله » (١ يو ٧ : ٩) بينما طبيعة خطية آدم فينا يستحيل عليها أن تصنع براً « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله ، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع » (رو ٨ : ٦ و ٧) . ومن هنا كانت المضادة والمقاومة قائمة باستمرار فى القديسين ، ولو أن روح الله فيهم هو المسيطر على الموقف لمجد الله وبركتهم . أما الخاطى فليس فيه طبيعة روحية بل كله جسد أو جسدانى بروحه ونفسه وجسده ، وغير حاصل من الله على طبيعته وروحه ، كالمؤمن الحقيقى ، ليقاوم بهما جسدانيته وينتصر عليها .

وقبل الانتقال إلى نقطة أخرى ، يجب ألا يغرب عن بالنا أن الخطية الأصلية الباقية فى المؤمن الذى بروح المسيح ينتصر عليها ويسمو ويتفوق ، ليست هى الخطية المحبوبة للقلب ولا هى العيشة فى الخطية ، بل هى الطبيعة الساقطة الموروثة من آدم فى كل نسله .

٥ — الغرض من سماح الله ببقاء الخطية الأصلية فينا

ولكن ما هو الغرض من سماح الله ببقاء الخطية الأصلية فينا ، وبقائنا نحن فى هذا العالم الحاضر الشرير ، وبقاء الشيطان مسيطراً عليه ومجرباً لنا فيه ؟ ألم يكن فى وسعه تعالى أن ينزع منا الخطية الأصلية ويلقى بالشيطان إلى سجن الهاوية وينقلنا نحن إلى السماء ؟ نعم بكل تأكيد . وهذا ما سيفعله مستقبلا . فلماذا إذن لا يفعله الآن ؟ وبغض النظر عن بقاء الشيطان فى العالم مجرباً ، وبقاء العالم على حاله الراهن ميداناً للتجارب ، فلماذا يسمح إلهنا على الأقل ببقاء الخطية الأصلية فينا سبباً طبيعياً يعرضنا للتجارب ونحن فى العالم ؟ أن الغرض من ذلك هو إعطاؤنا فرصة للجهاد الروحى . لأننا بنزع الخطية الأصلية منا مع حصولنا الميلاد الثانى على طبيعة المسيح القدوسة المعصومة نكون معصومين فى القداسة مثله ولا يكون فى طاقة الشيطان أن يغوينا مطلقاً ، كما لم يستطع أن يغويه فلا حرب ولا انتصار ، وفى هذا مضيعة لامتيازين هما النمو الروحى الناتج عن الجهاد ، وامتلاك الأكاليل أجرة الانتصار فى الجهاد . هكذا كان فى العهد القديم فبعد أن أتى الرب بالشعب إلى كنعان ، (الأمر الذى يرمز لتوالنا الحياة الجديدة فى المسيح المقام والممجد فى السموات) ، سمح الرب أن يبقى فى الأرض بعض الشعوب المحكوم بطردها لكى يمتحن بها حالة الشعب ويدربهم على الحرب ويخرج رجالا يحملون أكاليل الظفر والفخار بالرب إلههم ، « الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل ، كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان إنما لمعرفة أجيال بنى إسرائيل لتعليمهم الحرب ، الذين لم يعرفوها قبل فقط » (قض ٣ : ١ و ٢) .

و — فضل الكفارة فى سكنى الله فينا رغم بقاء الخطية الأصلية فينا

السؤال المهم هو : كيف تسنى لله البار القدوس أن يوجد فينا ، ويستمر موجوداً بطبيعته البارة ، وساكناً بروحه القدوس رغم بقاء الخطية الأصلية فينا ؟ هل تجردت هى من جرمها ونجاستها فى ذاتها ؟ أما تنازل الله عن برارته وقداسته ؟ وحاشاله لا هذا ولا ذاك . وإنما كفارة المسيح وحدها هى التى بررت الله فى ذلك . لأن كلمة «كفارة» معناها ستارة ستر وغطاء يغطى وتعويض يعوض . فموت المسيح كفارة وفى لله كل مطاليب عدله وقداسته ضد كل جرم ونجاسة الخطية وعوض له عن كل ما لحقه من إهانة وخسارة بسببها حتى لقد سترتها الكفارة عن نظره تعالى كما لو لم تكن موجودة إذ لم يعد الله ينظر إليها فى المؤمن كجرم يستوجب العقوبة أو نجاسة تستدعى الابتعاد . وفى الرمز يقال «يذبح تيس الخطية الذى للشعب ويدخل بدمه إلى داخل الحجاب . . . فيكفر عن القدس (وهو مسكن الله الرمزى بين الشعب) . من نجاسات بنى إسرائيل ، ومن سيآتهم مع كل خطاياهم . وهكذا تفعل لخيمة الاجتماع (وهى محل اجتماع الشعب أمام الرب وهو فى مسكنه) ، القائمة بينهم ، فى وسط نجاساتهم » (لا ١٦ : ١٥ و ١٦) . ولا أدل على قيمة الكفارة لتبرير وجود وبقاء الله فينا ومعنا ، من استمرار سكنى روح الله فينا ، مع بقاء الطبيعة القديمة فينا ، ورغم تعرضنا بها لإمكانية إحزاننا إياه بهفوة ما ، ومن ثم يقال « ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء» وهو يوم مجىء المسيح لفداء أو تغيير أجسادنا (أ ف ٤ : ٣٠ قابل رو ٨ : ٢٣ مع فى ٣ : ٢١) . وليس أدل على ذلك أيضاً من أن بولس الرسول كان « إنساناً فى المسيح » وأتى

به « إلى الفردوس . . . إلى السماء الثالثة » مع بقائها فيه ، ورغم تعرضه بها لإمكانية الوقوع فى خطية الارتفاع أو الانتفاخ (٢كو ١٢ : ١—١٠) .

إذن فلم تستر الكفارة الخطية الساكنة فينا عن نظر الله لتسهل لنا الاستعباد لنيرها ونحن فى مأمن من جانب غضب الله ، حاشا ! وإنما لكى تكون سكناه فينا على أساس بار ، ولكى يواجهها ويصدها عنا ويحمينا من غوائلها ونحن فى ستره نسكن وفى ظله نبيت . كما قال الله لشعبه قديماً بعد أن متعهم بامتياز الكفارة «أنا الرب مقدسكم . . . فلا تدنسوا نفوسكم . . . وتكونون لى قديسين لأنى قدوس ، أنا الرب . وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لى » (لا ٢٠ : ٨ و ٢٥ و ٢٦) . وكما يقول لنا الرسول بطرس « نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة ، لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٥ و ١٦) .

هل وجد اتفاق بين الله والخطية حتى أمكن أن يوجد بطبيعته وروحه فى إنسان لا زالت الخطية الأصلية باقية فيه ؟ حاشا ! « لأنه أية خلطة للبر والإثم ؟ وأية شركة للنور مع الظلمة ؟ وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ؟ وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن ؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ؟ » (٢كو ٦ : ١٤—١٦) . فلم يسكن الله فينا ليتفق مع الخطية الساكنة فينا ، بل ليعتقنا من نيرها ، ويصد عنا حملاتها ، ويقمع فينا حركاتها . فهى إن كانت ساكنة ولكنها ليست السائدة بل المسيح بروحه « فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » (رو ٦ : ١٤) « إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر» (رو ٨ : ١٠) .

إذن ، فالخطية الأصلية الموروثة ، أو الطبيعة القديمة باقية فينا ، رغم حصولنا بالميلاد الثانى على الطبيعة الجديدة . ومسئوليتنا ليست هى استخراج

القديمة ، لأن هذا تكميل الله لعمله الخاص ، وسيعمله فى أوانه بغير طلب إما بخلع الجسد فى الرقاد ، أو بتغييره فى الاختطاف . أما مسئوليتنا نحن فتقوم فى السهر ضد الطبيعة القديمة حتى لا تحملنا على إتيان أى خطأ ولو بالفكر . فليس العيب فى وجودها ، بل فى التساهل معها . وهذا هو نفس موقفنا بالنسبة للعالم والشيطان . فنحن لسنا مسئولين عن بقاء الجسد فينا ، أو بقاء العالم حوالينا ، أو بقاء الشيطان فى العالم . لأن هذا من شأن الله ، وإنما نحن مسئولون أن نكون فى صف الله ضد هؤلاء جميعاً حتى لا نخطىء

ز — نصرة الروح القدس على الخطية الأصلية الباقية فينا

إن ما يكرهه القديس أشد كراهة هو النجاسة ، وهى أشر ما يتأذى منه وأول ما يلجأ إلى أبيه السماوى مستغيثاً به ضدها ، قائلا « السهوات من يشعر بها ؟ من الخطايا المستترة أبرئنى . أيضاً من المتكبرين (أى من الكبائر أو الخطايا ذات السطوة ، وهو المعنى المقصود فى الأصل) احفظ عبدك ، فلا يتسلطوا علىّ . حينئذ أكون كاملا وأتبرأ من ذنب عظيم . لتكن أقوال فمى وفكر قلبى مرضية أمامك ، يارب ، صخرتى ووليى » (مز ١٩ : ١٢ — ١٤) .

فمع أن الطبيعة القديمة باقية فى المؤمن الحقيقى وهو معرض بها للزلل ، رغم حصوله على الطبيعة الجديدة ، إلا أن الروح القدس يسكن فيه عاملا فى قلبه ، وحارساً له من طبيعته القديمة ، إذ ينبهه إلى حركاتها . وكروح التبنى يدفعه للاحتماء منها بالالتجاء إلى الآب السماوى ، كقول الرسول « إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون . لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله . إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل

أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ ، يا أبا (الذى تفسيره ، أيها) الآب »
(رو ٨ : ١٣—١٥) .

إننا بالتجائنا إلى الله وبقائنا بالشركة معه فى أحضان محبته ، نميت بقدرته فى قلوبنا وعقولنا وأبداننا ميول وأنكار وحركات طبيعتنا الآدمية الساقطة ، أما إذا استعضنا عن الصلاة والتمسك بالله ، بمحاربة أنفسنا بأنفسنا فستكون النتيجة وبالا علينا ، لأن الشر فينا أقوى منا ، بدون الله ، مهما كانت رغبة نحن بالطبيعة الجديدة فى القضاء على الشر « اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٦) لأن الروح هو الذى يقودنا إلى ممارسة الشركة مع الله لنقوى بإلهنا ونغلب طبعنا ، ونعتز بإلهنا كمن يعظم به انتصارنا فهو الحارس الإلهى لنا من شر طبيعتنا القديمة ، والعامل الإلهى الدائب على استثمار بر طبيعة الله الجديدة فينا .

ح — خطأ المغالطة فى إنكار بقاء الخطية الأصلية فينا

إن بقاء الخطية الأصلية فيمن ولدوا من فوق أمر واقع لا مفر من الاعتراف به للتحصن ضده والإفلات من غوائله ، وليس من الصدق ولا من الحكمة إنكار أو تجاهل بقائها ، لأن الذى ينكر بقاء المرض فى جسمه أو بقاء اللص فى بيته إنما يعرض نفسه للفتك به ، فأى قديس درب نفسه على أن يكون له ضمير بلا عثرة وعلى أن يتكلم بالصدق فى قلبه ، لا يقوى على أن يغالط شعوره حتى النهاية وينكر بقاء الخطية الأصلية فيه مهما بلغ من مراتب العتق ودرجات التقديس . أما ذلك الذى لا يزال يغالط مشاعره ويحاول أن ينكر بقاءها فيه ، فماذا يقول إذا أخطأ ولو بالفكر فقط ؟ من أى مصدر فيه صدرت هذه الخطية ، إذا كانت الخطية الأصلية لم تعد باقية فيه ، وليس فيه إلا طبيعة المسيح القدوسة المعصومة ؟ وألا نعلم أيضاً أن

الخطية الفعلية ، ولو كانت بالفكر فقط ، لا تأتينا من الخارج ، من الشيطان ، بل بكل أسف ، من أصلها الآدمى القديم الدفين فى طبيعتنا ، كقول الرب نفسه « لأنه من الداخل ، من قلوب الناس ، تخرج الأفكار الشريرة الخ » (مر ٧ : ٢١) ؟ ألم يقل الرب لتلاميذه إزاء أفكارهم الخاطئة من جهة شخصه المقام « لماذا تخطر أفكار فى قلوبكم ؟ » (لو ٢٤ : ٣٨) . ولماذا مهما بلغنا من مراتب القداسة ، نلد أولادنا وفيهم الخطية الأصلية ، ويحتاجون مثلنا لكفارة المسيح للتكفير عنهم ، وللروح القدس لإحيائهم بالميلاد الثانى ، ولتقديس غاياتهم وحياتهم ؟ ثم لماذا بعد ما نلنا طبيعة الإنسان الجديد يستمر الروح القدس محذراً إيانا من « الإنسان العتيق » أو « الجسد » ومحرضاً إيانا على إماتة أعماله ؟ ولماذا ، والرسول ممتلىء بروح الله ، ومختطف إلى السماء الثالثة ، وأتى به إلى مناظر الرب وإعلاناته يعطى « شوكة فى الجسد » لئلا يرتفع بفرط الإعلانات ؟ هل يأتى هذا الارتفاع أو الانتفاخ من طبيعة المسيح فيه ؟ حاشا ! بل من طبيعة آدم الساقطة ، من الإنسان العتيق ، من الجسد ، من الخطية الأصلية الموروثة الساكنة فى بولس (٢ كو ١٢ : ١—١٠) .

وأخيراً ، فإن مبدأ نيابة آدم عنا فى الامتحان والسقوط ، ووراثتنا كنسله لجرمه وطبيعة سقوطه ، هو ما أعطانا الحق فى الإفادة من كفارة المسيح كالنائب الثانى ، أو آدم الأخير ، أو الرأس الجديد ، فى حالة إيمان قلوبنا به .

أما إذا كان المؤمن يخلو من الخطية الأصلية الموروثة من آدم ، فلا يبقى فى هذه الحالة ما يربطه بالسقوط الآدمى الذى قدمت عنه الكفارة . وإذا سقط فى هذه الحالة فلا يكون لسقوطه علاج ، ولا يكون له هو أى رجاء ، إذ لا توجد كفارة لشخص مثله ، ولا لسقوط مثل سقوطه .

فهـــرس

الباب الثالث

الاختبار ومراحله

الباب الثالث

الاختبار ومراحله

الفصل الأول

مباهج اختبار الخلاص بالنعمة

في الإصحاح السابع من رسالة رومية إشارة إلى ثلاث مراحل اختبارية، يمر فيها المولود ثانية . ويشار إلى المرحلة الأولى في ع ٩ بالقول « أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلا » أي أنني قبل أن أضع نفسي تحت الناموس كنت أتمتع بلذة الحياة الروحية الجديدة ، هذه المرحلة يمر فيها في البداءة كل من يؤمن بالمسيح عقب نواله بالإيمان بركات الغفران والتبرير والحياة الجديدة وسكنى روح الله فيه . وهذه المرحلة تصورها لنا الفترة المليئة بالأفراح ، الفترة التي أعقبت ولادة إسحق المولود الجديد إلى يوم فطامه كقول الكتاب «ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة إسحق (أي يضحك) . . وختن إبراهيم إسحق ابنه . . وقالت سارة قد صنع إليّ الله ضحكا . كل من يسمع يضحك لي . . فكبر الولد وفطم . وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحق » (تك ٢١ : ١ — ٨) .

وقد كان إسحق في كل هذه الفترة البدائية في مرح الطفولة ، إذ لم يكن إسماعيل المولود القديم قد بدأ بعد في مضايقة إسحق المولود الجديد ، إذ لم تبدأ هذه المضايقة إلا يوم فطامه . فلم يكن يشعر إسحق الجديد أو يعلم بوجود إسماعيل القديم معه في البيت ، بل ولم يكن يشعر أو يعلم بوجود شيء آخر سوى نفسه كمولود جديد سعيد ، وما يتعلق به ويتمتع به من

أفراح أبوية وعائلية . كذلك المولود من فوق بسبب إيمان قلبه بالمسيح كفاديه لا يكون إلا فرحاً فى أولى مراحل حياته الاختبارية ، فرحاً بخلاص نفسه من هلاكها الأبدى من مجرد نعمة الله عليه فى المسيح . ولا يكون شاعراً بوجود طبيعته القديمة معه فى الجسد ، بل ولا يكون شاعراً إلا بوجوده هو شخصياً كمولود جديد سماوى سعيد ، وما يتعلق به ويتمتع به من أفراح سماوية كقول المسيح من جهة مايعمله الآب بالنسبة لمن ولد منه « فقال الأب لعبيده أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه . وأجعلوا خاتماً فى يده وحذاء فى رجليه . وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح ، لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالا فوجد . فابتدأوا يفرحون » (لو ١٥ : ٢٢—٢٤) .

ويشرح الرسول أفراح هذه المرحلة الاختبارية المسيحية الأولى فى قوله « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ، ونفتخر (أو نفرح) على رجاء مجد الله . وليس ذلك فقط بل نفتخر (أو نفرح) أيضاً فى الضيقات . وليس ذلك فقط ، بل نفتخر (أو نفرح) أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة » (رو ٥ : ١—١١) . وهذه الأفراح شوهدت فى جميع الذين خلصوا عقب نوالهم الخلاص مباشرة ، كقول الكتاب عن الخصى « وذهب فى طريقه فرحاً » (أع ٨ : ٣٩) . وعن أهل السامرة « فكان فرح عظيم فى تلك المدينة » (أع ٨ : ٨) . وعن السجان وأهل بيته « وتهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله» (أع ١٦ : ٣٤) .

الفصل الثاني

مراتب اختبار الاستعباد للناموس

أ — معنى ونتيجة وجود الإنسان تحت الناموس

نجد المرحلة الاختبارية الثانية موضحة فى رو ٧ : ٧—٢٤ وتتلخص فى قول الرسول : « ولكن لما جاءت الوصية (أى وضعت نفسى فى مركز المسئول عن تتميمها كقادر على ذلك) عاشت الخطية (أى انتعشت وأصبحت هى الحاكمة) فمت أنا (أى فقدت قواى الروحية، وأصبحت مغلوباً على أمرى) » (ع ٩) . وإليك أقواله وصفاً لهذه المرحلة الأليمة فماذا نقول ؟ هل الناموس خطية ؟ حاشا ! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس ، فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس « لا تشته » . ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فىّ كل شهوة . لأن بدون الناموس الخطية ميتة . أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلا . ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا . فوجدت الوصية التى للحياة هى نفسها لى للموت . لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى بها وقتلتنى . إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة . فهل صار لى الصالح موتاً ؟ حاشا ! بل الخطية . لكى تظهر خطية منشئة لى بالصالح موتاً ، لكى تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية . فإننا نعلم أن الناموس روحى ، وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية . لأنى لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فإياه أفعل . فإن كنت أفعل ما لست أريده ، فإنى أصادق الناموس إنه حسن .

فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا ، بل الخطية الساكنة فىّ . فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ ، أى فى جسدى شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد . لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل . فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىّ . إذاً أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى إن الشر حاضر عندى . فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن . ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » ؟

وهنا لابد أن نسأل : ما هو معنى الوجود تحت الناموس ؟ وما هو الغرض من هذا الوجود ؟! . إن الناموس يقول للإنسان الذى يضع نفسه تحته « افعل هذا » (لو ١٠ : ٢٨) أى قم أنت بالعمل ما دمت قد أنست فى نفسك القدرة على القيام به . أما النعمة فتقول لمن يضعه الله تحتها « لا تخف آمن فقط » أو « صلّ » أى اترك العمل لله ليعمله لك بالنيابة عنك مادمت قد اقتنعت بعجزك عن القيام به . فالوجود تحت النعمة معناه أن الله القدير وضع نفسه من مجرد نعمته فى مركز المسئول عن العمل ، عوضاً عمن يحصر كل ثقته فى الله بسبب شعوره بالعجز الذاتى . والنتيجة أن أعماله تكون « بالله معمولة » (يو ٣ : ٢١) .

فمن نتائج وضع الإنسان نفسه تحت الناموس كقادر على العمل به أن يتركه الله لذاته فى هذا المركز ، ليكتشف بنفسه عجزه البشرى عن القيام بأى عمل ، كما قيل عن حزقيا « تركه الله ليجربه ليعلم كل ما فى قلبه » (٢ أى

٣٢ : ٣١) . والنتيجة الفشل فى العمل كما قال الرب « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . إذاً فالاختبار تحت النعمة ، وهو الاختبار المسيحى ، هو أن الله عامل . أما الاختبار تحت الناموس أو الاختبار الناموسى ، فهو أن الإنسان فاشل . فالمسيحى امتيازه عمل الله وليس فشل الإنسان .

إن العهد الحالى ابتداء من يوم الخمسين فصاعداً عهد نعمة لا ناموس . ومع ذلك فالإنسان لجهله بكلمة الله ، ولجهله بنفسه ، لا يزال يضع نفسه تحت الناموس لغرضين :

أولا : كخاطىء ليتبرر بأعماله أو ليكون بها مقبولا لدى الله ، وعندما يكون مخلصاً لله ولنفسه يرى أنه لا يعمل بالناموس بل يكسره ، وأنه بأعماله لا يمكن أن يتبرر أو يقبل . بل لابد من أن يدان ويرفض . وإذ يتأكد أنه « بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه » (أى أمام الله) (رو ٣ : ٢٠) يلقى بنفسه بكل إيمان قلبى على عمل المسيح الكفارى لتبريره وقبوله بمجرد سماعه عنه « إذاً كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان . ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب » (غل ٣ : ٢٤) « لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » (رو ١٠ : ٤) .

ثانياً : كقديس ليعيش لله ، اعتقاداً منه أنه كان فى بادىء أمره عاجزاً عن العمل لكونه كان خاطئاً . أما الآن فقد صار قديساً ، إذ أخذ بالإيمان بالمسيح طبيعة قداسة ، ظاناً فى نفسه أنه بسبب نواله هذه الطبيعة قد أصبح قادراً على العمل بنفسه ، وحينئذ يتخلى عنه الله جزئياً تاركاً إياه لذاته التى اغتر فيها . وهكذا وهو تحت الناموس بإرادته ومتروكاً لذاته تحت مسؤليته ولكن تحت الإشراف الإلهى فى هذه المرة ، يكتشف إزاء ما تنشئه الخطية

فى قلبه من ميول الشهوة (بسبب تخلى الله عنه وتركه لذاته) يكتشف بنفسه أنه لا يزال هو هو من حيث طبيعته الساقطة رغم حصوله بالميلاد الثانى على طبيعة المسيح القدوسة، يكتشف بنفسه بقاء الخطية الأصلية فيه ويقتنع بعجزه الذاتى أمامها . ويميز بين نفسه بالطبيعة الجديدة كمولود من فوق وبين طبيعته القديمة الباقية فيه كإنسان ساقط أصلا . كما ويكتشف أيضاً، إنما بكل حسرة وانكسار قلب، أن طبيعته القديمة هذه أقوى منه رغم أنه قديس، لأنه لم يقو كقديس على تغييرها ولا على اقتلاعها، حتى ولا على مجرد إيقافها عند حدها، إذ قد اكتسحته هى رغم أنفه فى أفكاره وميوله؛ الأمر الذى لم يكن له عهد به فى نفسه قبل وضعه نفسه تحت الناموس . وحينئذ تنكشف له الحقيقة سافرة أن الناموس قوة، ولكن للخطية وليس له «وقوة الخطية هى الناموس» (١كو ١٥ : ٥٦) .

وهذا الاختبار الناموسى المرير هو ما نراه فى مرحلته القاتمة ملخصاً فى الإصحاح السابع من رسالة رومية فى قول الرسول «ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا» (رو ٧ : ٩)(*) أى فقدت كل قواى ومباهجى الروحية كما لو أكون قد عدمت الحياة الروحية فى كل معانيها . ويصور لنا هذه المرحلة العصيبة ذلك الوقت الذى كان فيه إسحق المولود الجديد مغلوباً على أمره، ومعذباً وصارخاً فى يوم فطامه من مضايقات ومعاكسات واضطهادات إسماعيل المولود القديم لضعفه وعجزه أمامه، إذ

(*) لا يصح أن يغرب عن بالنا لحظة أن الخطية التى هى محور الكلام فى رومية ٧ ليست هى خطية فعلية بل هى الشهوة المحرمة فيما يتولد عنها فى القلب من ميول وفى العقل من أفكار وتصورات . .

كان إسحق الجديد ابن سنة ، وإسماعيل ابن نحو ١٥ سنة ، كما يقول الكتاب. « وكان إبرهيم ابن ٩٩ سنة حين ختن . . وكان إسماعيل ابنه ابن ١٣ سنة » (تك ١٧ : ٢٤ و ٢٥) . وكان إبراهيم ابن ١٠٠ سنة حين ولد له إسحق ابنه . « فكبر الولد وفطم . وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحق . ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح . فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق » (تك ٢١ : ٥ — ١٠) .

وكما كان لمرحلة النعمة البدائية البهيجة أنشودتها المسيحية فى قول الرسول « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح . . . الخ » (رو ٥ : ١ — ١١) هكذا أيضاً لهذه المرحلة الناموسية المريرة التابعة مناحتها الناموسية فى قول الرسول : « ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ٢٤) .

ولا يفوتنا فى النهاية أن المؤمن البادىء فى الشعور بوجود الخطية الأصلية فيه قد يخيل إليه ، لجهله بكلمة الله وبنفسه لحداثة عهده فى الحياة الروحية ، ونظراً أيضاً لما يحيط به من سوء التعليم ، قد يخيل إليه أن ما يشعر به فى نفسه من شر ، هو ناجم من مجرد وجوده فى العالم ، فيعتزل المجتمع وينطوى على نفسه . وإذ لا يفارقه الشعور بالشر الذى فيه ، يعود فيظن أن ما يشعر به قد يكون هو الجسد المادى : فيبتدىء فى تعذيبه بقصد قهره وإذلاله . وإذ يتزايد شعوره بقوة وحركات ناموس الخطية الكائن فى أعضائه ، يبتدىء على قدر دراسته لكلمة الله ولنفسه فى نورها ، يبتدىء أن يكتشف حقيقة نفسه ، وأن الخطية التى يشعر بها وبحركاتها وقوتها فى

نفسه ، ليست هى العالم الشرير المحيط به ، ولا هى جسده المادى ، بل هى طبيعة فاسدة معادية لله ، وموروثة فيه من آدم أصل الجنس ، وباقية فيه بعد ولادته من فوق ، وهو فى حاجة لقوة خاصة من الله تحرره من نيرها وتنصره عليها .

ب — التحول عن الذات إلى المسيح

وحينئذ يكتشف بالتبعية بأنه لا محل لافتخاره بنفسه فى توبته وإيمانه لأنهما لم يكونا قط من طبيعته الأصلية كإنسان ساقط ، بل هما عطية الله له ، ولله الفضل كله فيهما ، إذ اكتشف أن طبيعته الأصلية الساقطة التى لا يزال يحملها بين جنبيه خالية من كل عناصر التوبة والإيمان ، بل ليست مكونة إلا من كل عناصر الشر . ومن ثم يقتنع بالتبعية اقتناعاً لا تردد فيه أن حياة القداسة والعيشة لله الناتجة عن التوبة والإيمان ، حياة الانفصال عن الخطية والتكريس لله لا يمكن أن تكون هى أيضاً من طبيعته الأصلية بالمرة ، بل إنما هى من الله بالمسيح عن طريق استمرار اتصاله الشخصى به بواسطة صلوات إيمان القلب به فيتحول عن نفسه وعن الثقة فى ذاته ، وعما توهمه فيها من قدرة ذاتية على العمل ، ويتجه إلى المسيح معتمداً عليه وحده كل الاعتماد ، كمركز ومصدر وقوة القداسة فيه ، ليتولاه بنعمته ويوشحه بقدرته فلا يعود يختبر تحت الناموس عجزه الذاتى وفشله أمام الخطية بل يختبر تحت النعمة قوة المسيح وانتصاره على الخطية الساكنة فيه لحد تصبح فيه بلا سيادة ولكن مع بعض مقاومات يقمعها بنفس الطريقة .

إن هذه المرحلة الناموسية مع شدة وطأتها على نفس المؤمن ، هى ضرورية له جداً ، لأنه بها ينتقل من دور الطفولة المرحة السطحية إلى دور

البطولة فى الإيمان أو الرجولة الرصينة فى الحياة المسيحية ، هى عملية فطامه عن الذات فلا يعود يرضع من لبن الثقة فيها والافتخار بها ، والكلام عنها بخير أو شر ، بل تصبح كل ثقته فى الرب وكل افتخاره به ، لأن الذات مع أنها ذات قديس ، قد خذلته شر خذلان ، أما الرب فقد عظم به انتصاره واستقرت به أفراحه :

ج — قراء رومية ٧ من المولودين من فوق حديثاً .

إن المولودين من فوق ، حديثاً ، معرضون أكثر من غيرهم — ولاسيما تحت تأثير التعاليم الخاطئة عن التقديس — لأن يستبعدوا أن يكون المجتاز فى اختبار رومية ٧ هو قديس بالنظر لما يرونه فيه من اعتراف بالعجز عن البلوغ إلى مستوى القداسة الباطنية الذى ينشده ، ظانين أنهم بلغوا إلى ما هو أعظم من ذلك توهماً منهم أنهم بقوة صلواتهم قد اقتلعوا من طبيعتهم كل أثر للخطية . وتعرضهم لذلك يرجع إلى عدم درايتهم الكافية بكلمة الله ، وبحقيقة أنفسهم لحداثة عهدهم بالكلمة ، ولحصولهم فى حداثة عهدهم على أفراح المرحلة الاختبارية الأولى ، مرحلة بهجة الخلاص من مجرد نعمة الله وهؤلاء يكونون بطبيعة الحال أقرب من غيرهم للثقة فى ذواتهم من حيث قدرتهم على العيشة فى القداسة ، وأسرع من غيرهم فى وضع أنفسهم تحت الناموس كقانون للعيشة ، وإذ ينكشف لهم بقاء الخطية الموروثة فى طبيعتهم يقعون فريسة لأحد أمرين أشر من بعضهما ، هما : المغالطة ، أو اليأس ، لأنهم إما أنهم رغم ما يحسون به فى أنفسهم من شر فى القلب والعقل ، يغالطون مشاعرهم ويظلون فى إيهام أنفسهم وغيرهم بخلوهم من كل أثر للخطية ،

وإما أنهم فى اقتناعهم ببقائها يشكون فى بنويتهم لله ويملأ اليأس قلوبهم ، ولكل من الأمرين نتائجه الوبيلة التى لاتخفى على أحد .

د — المجتاز فى رومية ٧ قديس يجهل مركزه فى المسيح

إن المجتاز فى اختبار رومية ٧ هو قديس لاشك ، ولو أنه يجهل مقامه فى المسيح ، وواضح أنه قديس بما يأتى :

أولا — إن كل ما يشكو منه فى نفسه هو مجرد ميول لا أفعال ، وهذا ما يشير إليه فى قوله « الخطية أنشأت فى كل شهوة » (رو ٧ : ٨) والشهوة هى ميل وليست فعلا . أما الخاطىء فليس من شأنه أن يستحرم الشهوات القلبية ، بل يستمرئها ويدافع عنها .

ثانياً — أنه لا يستحرم الشر فى الأفعال فقط ، بل حتى وفى الميول . لأنه يقول عن الشهوات القلبية المحرمة « ما أبغضه ، وما لست أريده » (رو ٧ : ٨ و ١٥ و ١٦) . أما الخاطى فيحب الشر ويريده ، لا فى ميوله فقط بل وفى فعله أيضاً .

ثالثاً — أنه يبغض الإثم ويحب البر كقوله « الصالح الذى أريده والشر الذى لست أريده » (رو ٧ : ١٩) . أما الخاطى فيحب الإثم ويبغض البر .

رابعاً — أنه يشير إشارة واضحة إلى طبيعته الجديدة فى قوله : « أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن » (رو ٧ : ٢٢) والإنسان الباطن ليس هو الروح البشرية بما تضمنت من ضمير وتمييز بل هو كناية عن « الإنسان الداخل » وهو الذى « يتجدد » (كو ٤ : ١٦) كقول الرسول « لبستم الجديد الذى يتجدد » (٢ كو ٣ : ١٠) أما الخاطىء ، فمهما كان له فى الباطن

من تمييز للشر وضمير يوبخه عليه ، فإنه مجرد من الإنسان الجديد الباطنى الذى يسر بناموس الله . لأنهم « يقولون لله ، ابعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسر » (أى ٢١ : ١٤) .

خامساً — إنه يتبرأ من الشر الحادث منه فى فكره وفى ميله ، ويعزو صدوره منه إلى فعل الخطية الأصلية الساكنة فيه كقوله « فلست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ » (رو ٧ : ٨ و ١٥) ولم يكن محل لهذا التمييز بين نفسه والخطية الساكنة فيه ، أو الطبيعة الساقطة القديمة لو لم يكن قد حصل فى نفسه بالميلاد الثانى على طبيعة قدوسة جديدة توحدت معه ، وأصبحت مايعبر به عن نفسه ورأيه ورغائبه كإنسان جديد .

إذاً فالمجتاز فى الاختبار الناموسى الوارد فى رومية ٧ هو قديس وليس خاطئاً ، ولكنه القديس الموجود فى غير مركزه ، أو الذى وضع نفسه تحت الناموس وليس تحت النعمة ، لأن الوجود تحت النعمة اختبارياً هو فى الواقع امتياز كل قديس للفوز بالنصرة . والقديس الذى يجتاز الاختبار الناموسى اختبار الانهزام ، أمام الشر فى القلب والعقل ليس من الضرورى أن يكون من قديسى العهد القديم ، إذ أن الاختبار الناموسى لا يختبره القديس لوجوده تحت الناموس تدبيرياً بل لوجوده تحته اختبارياً حتى ولو كان مسيحياً فى عهد النعمة .

لذلك لا يشير المتكلم فى رومية ٧ إلى المسيح ، ولا إلى الروح القدس بل إلى ذاته ، والخطية الساكنة فيه وعجزه أمامها . وهذا لأن الناموس ليس له تقابل إلا مع الذات لكشف فسادها وعجزها . لأن الناموس موضوعه الإنسان ، والخطية فى الإنسان . أما النعمة فموضوعها المسيح والإنسان فى المسيح ، والمسيح فى الإنسان . ومن ثم لا يمكن لأى قديس فى العهد

الجديد أن يعتق من اختبار فساد ذاته الموروث فيه من آدم ، ولا أن يتمتع باختبار كمال المسيح فى نفسه وتصرفاته إلا متى تحول عن الثقة فى ذاته إلى الثقة فى إلهه ، أو من تحت الناموس الذى يقول له «إفعل» إلى تحت النعمة التى تقول له «آمن فقط».

وكما أن الخاطىء غالباً يثق فى بادىء الأمر فى أعماله للتبرير ، ثم ينتهى إلى التحقق من أن تبريره بالإيمان فقط بدون أعمال الناموس ، هكذا المؤمن من جهة عتقه يثق فى بادىء الأمر فى قدرته الذاتية وأخيراً ينتهى للاكتفاء بقوة الله وحدها «الكل من الله» (٢كو ٥ : ١٨) . وفى أثناء خلط النعمة مع الناموس أو إضافة قدرة الله إلى قدرة الإنسان ، قد يصلى المؤمن طالباً من الله أن يساعده على تخليص نفسه وإنقاذها من هذا الأسر ، بل هو يصلى فعلا وبدموع ، ولكن بدون جدوى ، لأن الله لا يعين الذات ولا يؤيد مبدأ الاتكال على الجسد . ولن يمد الرب يده للإنقاذ رغم مدها للتسنيد ، حتى يجرد المؤمن من الثقة فى ذاته لإنقاذ نفسه ، وحتى يتجرد أيضاً من الثقة فى غيره لإنقاذه ، وينصرف إلى الثقة فى الرب وحده فيقول «يارب نجنى» (مت ١٤ : ٣٠) .

الفصل الثالث

أفراح اختبار العتق الدائم

بناموس روح الحياة

فى المسيح يسوع

١ — موتنا شرعاً بموت المسيح

يلخص رومية ٧ المرحلة الاختبارية الثالثة فى القول « أشكر الله بيسوع المسيح ربنا » (ع ٢٥) ، أى الذى به حظيت بالعتق والانتصار ، فإنه عندما يصل المؤمن إلى الحد الذى فيه يصرخ قائلا : « ويحي أنا الإنسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ » (رو ٧ : ٢٤) يكون اليأس من جهة انتصاره على الشر فى أفكاره وميوله ، قد أخذ منه كل مأخذ. وملأه شعوراً بأن الموت وحده هو الذى يخلصه فى حالة كهذه ، لأنه يرى أنه طالما هو حى فى الجسد فلن تكون الحالة غير ما اختبر ، ومن ثم لا يكون أمامه إلا أحد أمرين : إما الرضى بالواقع الأليم ، أو التخلص منه بالموت . وإذ لا يرضيه الواقع بالمرة لمغايرته ومضادته لقداسة طبيعة الله فيه ، يفضل الموت للتخلص من حالة عذابه النفسانى .

غير أن موته الموت الفعلى ليس هو الحل المرضى ، لأنه وإن كان يريحه من حركات الخطية الساكنة فيه بانتزاعها منه بواسطة خروجه هو بالموت من جسمه إلا أن هذا الموت الفعلى ينهى مدة خدمته لله على الأرض . لذلك سبق الله فنظر له موتاً أفضل ، موتاً يضمن له عدم مواجهة الخطية الساكنة

فيه ، وإنابة المسيح عنه فى مواجهتها لردعها عنه ، وإفلاته هو بذلك من سلطانها ، وفى الوقت ذاته يضمن له بقاءه حياً فى الجسد لتتميم خدمته لله على الأرض ، ذلك هو الموت الشرعى أو اعتبار الله إياه أنه مات بموت المسيح نيابة عنه على الصليب ، لأن الموت الذى ماته المسيح لم يكن يستحقه هو بل موت المؤمن به ، إذ كان هو الذى يستحقه ، فلما مات المسيح بالنيابة عنه اعتبر أنه هو الذى مات . فالله قد أعد له موت المسيح واحتسبه له بالنعمة عند إيمانه بموت المسيح بالنيابة عنه ، لذلك يقول الرسول « لأنكم قد متم » (كو ٣ : ٣) « متم بجسد المسيح » (رو ٧ : ٤) « متم مع المسيح » (كو ٢ : ٢٠) . لأن اتحاد المؤمن ، عن طريق الميلاد الثانى ، اتحاداً شرعياً مع المسيح المقام واتحاداً فعلياً معه فى حياة القيامة ، معناه سبق اتحاده معه شرعياً فى موته . لأن حياة القيامة فى المقام لا تكون بداهة إلا لمن كان قد سبق ففقد بالموت حياته فى الجسد مع هذا الفارق أن حياة المسيحى ، حياة القيامة فى المسيح المقام ، هى حياة فعلية ، أما موته مع المسيح بموته فموت شرعى أو رسمى ، لأن المسيح هو الذى مات الموت الفعلى ، أما المؤمن به فاعتبر اعتباراً أنه هو الذى مات ، واعتبار المؤمن أنه مات بموت المسيح أنهاه فى نظر الله فى صفته الآدمية القديمة الساقطة ، صفته كالإنسان العتيق ، كما قيل « الأشياء العتيقة قد مضت » (٢ كو ٥ : ١٧) . ونواله الحياة الجديدة فى المسيح المقام رأساً لجنس جديد أوجده فى نظر الله فى صفة المسيح الجديدة ، صفته كالإنسان الجديد . كما قيل « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . . . هو ذا الكل قد صار جديداً » كما أن المسيح بقوة روحه فى المؤمن يواجه الخطية الساكنة فيه ليحظى له بانتصاره عليها ، كقول الرسول

« مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا فيّ » (غل ٢ : ٢٠) ، أى حياة الظفر والانتصار ، حياة القداسة والكمال .

ب — موتنا احتسابياً بإيماننا بموت المسيح

لكى يصير الموت الشرعى عن الخطية موتاً عملياً ، على المسيحى أن يحسب نفسه كما حسبه الله ، إنه قد مات (وهذا بموت المسيح نيابة عنه) ، فيتصرف بالنسبة للخطية كما لو كان قد مات بالفعل . ولم يعد له وجود هنا فى الجسد أمام الخطية الساكنة فيه ، صارخاً للمسيح لمواجهتها بالنيابة عنه لدفعها عنه وإيقافها عند حدها . لأنه هو الذى « وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه » (أم ٨ : ٢٩) وهكذا يقوم المسيح فيه خير قيام بالمسئولية التى فشل فيها كل الفشل ، لذلك يقول الرسول « لأن الموت الذى ماته (المسيح) قد ماته للخطية مرة واحدة ، والحياة التى يحياها فيحياها لله . كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ١٠ ، ١١) . ومن يطلب منه أن يحسب نفسه ميتاً هو فى الواقع ليس ميتاً فعلياً لأنه لا يعقل أن يطلب من الميت أن يحسب نفسه ميتاً .

إن موتنا الشرعى عن الخطية مركز ممنوح لنا ، علينا أن نحسبه لأنفسنا بالإيمان لكى يكون نافذ المفعول أو موتاً عملياً غير منقوص . لأن كل نقص فيه يتعارض مع مقام الموت الشرعى الممنوح لنا . والقديس الذى مر فى مرارة الاختبار الناموسى حسبما هو موصوف فى رومية ٧ لن يتأخر لحظة واحدة عن أن يحسب نفسه ميتاً لأنه يرى أنه ما من سبيل آخر يعتقه من قبضة الخطية فيصير الحياة كلها ، وشعار إيمانه أمام الله وأمام ضميره ما يأتى « عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية (أى

ليكف عن أن يكون آلة فى يد الخطية الساكنة فيه) كى لانعود نستعبد أيضاً للخطية . لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية » (رو ٦ : ٦ و ٧) لأنه ليس من شأن الميت أن يخطىء أيضاً « مع المسيح صلبت (كإنسان عتيق من دأبه أن يخطىء) فأحيا لا أنا (العتيق بأعمالى الشريرة) بل المسيح (الجديد بأعماله البارة) يحيا فىّ » (غل ٢ : ٢٠) .

فالخطية الأصلية لم تقتلع من المؤمن الحقيقى ولكن هو الذى مات عنها ففقدت هى سيطرتها عليه كما لوكانت هى التى صلبت وماتت وصارت بلا عمل ، لأن الخطية مهما كانت قوتها لا تستطيع أن تستخدم إنساناً قد مات . فالذى مات قد صار بعيداً عن متناول يدها لأنها لا تستطيع أن تستخدم إلا الحى . لذلك ينسب الموت صلباً للمؤمن وللخطية على حد سواء ، كما قيل عن الذين آمنوا بالمسيح وبموته عنهم لإحيائهم وصيرورتهم له بمشترى دمه ونوال حياته وختم روحه «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥ : ٢٤) أى آمنوا بأنهم ماتوا صلباً هم وأهواؤهم وشهواتهم بموت المسيح عنهم مصلوباً . وكما يموت ميكروب المرض بموت المريض ، ماتت الخطية بموت المؤمن ففصل الموت بينهما ، إذ مات كل منهما للآخر . هذا هو الموت الشرعى الذى يحسبه المؤمن لنفسه بالإيمان وبقوة روح المسيح فيه يجعله عملياً . هذا هو المهم فى أمر العتق من سلطان الخطية ، هذه هى الحلقة المفقودة فى اختبار معظم المسيحيين الأحداث فى الإيمان ، الحلقة التى تصل نوال الحياة فى المسيح بالموت العملى للخطية . أما الذى بالتقشفات ، ومجهود الذات يحاول أن يميت الذات أو الشهوات ، فلن يختبر موتها . لأنه بمحاولاته هذه يعترف ضمناً ببقائه حياً فى الجسد ، بينما لاسبيل إلى عتقه من الخطية إلا باحتسابه نفسه ميتاً كما اعتبره الله ميتاً

للخطية ، وبذلك يختبر عملياً معنى الموت للخطية بعمل روح الله فيه .

ج — موتنا للخطية عملياً بقوة روح المسيح

لا يفوتنا لحظة أن الخطية التى هى محور الكلام فى رومية ٧ ومدار بحثنا هنا فى هذه الفصول ليست هى الخطية المحبوبة للقلب ، ولا هى خطية عملية ، بل هى الخطية الأصلية ، هى الإرادة الذاتية ، هى الشهوة الردية ، محاولة أن تأخذنا فى حبائلها تحت تأثير ما تعرضه علينا فى قلوبنا من دنس الأفكار والتصورات ، ومايعرضه علينا الشيطان فى العالم من فاسد الأقوال والمناظر ، والسبيل الوحيد للإفلات هو الهرب :

أولا : الهرب من كل ماتعرضه علينا الخطية الأصلية فى قلوبنا من دنس الأفكار والتصورات . وهنا مفتاح النصر الأكيد . فإن أحس أحدنا بالخطية الساكنة فيه تزحف عليه ، محاولة النفاذ إلى قلبه وعقله بدنس الأفكار والتصورات ، فعليه كمسيحى أن يأخذ فى الحال مركزه كمن مات للخطية ، ولفوره يتجه إلى ربه قائلا « ربى إنك بحياتك وروحك فىّ تستطيع مواجهة الخطية الساكنة فىّ عوضاً عنى ، وتقوم بصدها عنى ، وتمتعنى بنصرتك على أعدائك فى نفسى وعندما يقف المسيح أمام الخطية ، وينسحب المؤمن من الوسط ، فليثق أن الأمر قد انتهى ، وأن انتصاره مضمون ، لأن المسيح لايحتاج إلى جهاد مع الخطية ، بل بمجرد وقوعها فى قبضة يده يخمد أنفاسها ، سواء كانت فى الأفكار أو التصورات أو الميول أو الحاسيات ، وهذا ما يلخصه الرسول فى قوله : « بالروح تميتون أعمال الجسد » (رو ٨ : ١٣) .

وهكذا يختبر المسيحى بفرح إجابة الله لطلبة الرسول « وإله السلام يقدسكم

بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح . أمين هو الذي يدعوكم ، الذي سيفعل أيضاً » (١ تس ٥ : ٢٣و٢٤).
لأن المسيحي بالتجائه الدائم إلى المسيح ، وانطراحه في أحضان محبته وأذرع قدرته ، يجعل المسيح يستأسر كل فكر فيه لطاعته ، ويستولى على كل عضو فيه لخدمته .

لما صار التلاميذ في ضعفهم أمام الرياح الهائجة وأمواج البحر المضطرب المتلاعب بسفينتهم التي تصوروا أنها على وشك أن يبتلعها اليم لعجزهم وفشلهم أمام قوته ، لجأوا من ضيقتهم ويأسهم من أنفسهم إلى الرب الذي كان في مؤخر السفينة « فقام وانتهر الريح وقال للبحر : اسكت . ابكم . فسكنت الريح وصار هدوء عظيم » (مر ٤ : ٣٩) . ولكن ، أنظل غير متصلين بالمسيح حتى يوافينا الخطر فنهرع إليه ليدرأه عنا ؟ حاشا ! لأنه إذا كان الاتصال القلبي بالمسيح يستبعد الخطر ، فلا شك أن استمرار الاتصال القلبي به يحفظ الخطر بعيداً ، ويحفظنا بعيدين عن الخطر . نعم ! إذا كانت المشغولية بالمسيح في الصلاة تقضى على الفكر الشرير الهاجم علينا فلا شك أن استمرار المشغولية بالمسيح تمنع هجوم الأفكار الشريرة علينا . وهذا ما يشير إليه الرسول في قوله : « اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٩) والسبب ، قاله المسيح : « ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » (يو ١٦ : ١٤) .

إذا فلنستمر سالكين بالروح ، أو بالروح مشغولين بالمسيح في أمجاده الأدبية والسموية عن طريق صرف أوقات الفراغ ، أما في الصلاة أو الترنيمات أو قراءة الكلمة أو تفاسيرها أو الجلسات أو الاجتماعات الروحية.

على أن تكون مشغولية كل منا فى هذه جميعها بالمسيح نفسه لا بالخطية . لأن مشغوليتنا بالخطية ولو فى أحاديثنا مع الله تدنسنا ، أما مشغوليتنا بالمسيح ولو فى أحاديثنا مع أنفسنا أو مع الناس فتقدسنا ، إذاً ليكن المسيح هو موضوعنا الوحيد مع الله ومع أنفسنا ومع الناس ، مستحوذاً وحده على كل ثقة قلوبنا وشغفها وأشواقها ، فبه تموت الخطية ويحيا البر فى أنفسنا .

إننا إذا صرفنا الوقت أمام الرب فى الأقداس مشغولين به بوسائط النعمة المار ذكرها ، تاركين إياه يقابل هو الأعداء فى الباب ويصرفهم عنا ، فقد أثبتنا حقاً أننا أموات عن الخطية بطريقة عملية ، إذ ما هو الموت إلا خروجنا نحن من ميدان العمل وتركنا إياه للمسيح ليعمل هو ، فتكون النتيجة الظفر بالأعداء ظفراً ساحقاً .

هذه هى الممارسة العملية للموت عن الخطية بالقضاء على الأهواء الأثيمة فى الداخل ، فيكون بالتبعية الامتناع عن الأفعال الأثيمة فى الخارج ، كما قيل : « أما دانيال فجعل فى قلبه أنه لا يتنجس » (دا ١ : ٨) وفعلا لم يتنجس كنتيجة ضرورية تابعة ، لذلك يطلب الرسول تنفيذ عملية الإماتة على الميول فى الباطن والفعال فى الظاهر كنتيجة لابد منها فيقول : « فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنى النجاسة الهوى الشهوة الردية ، الطمع الذى هو عبادة الأوثان » (كو ٣ : ٥) .

ويلاحظ هنا أنه يستخدم الجسد كناية عن الخطية التى فيه ، وأعضاء الجسد كناية عن أهواء وشهوات الخطية فيها ، فيستخدم المنظور للتعبير به عن المستور . وبهذا المعنى يقول الرب : « إن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك . . . وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك » (مت

١٨ : ٨ ، ٩) وعليه ليس المقصود اليد أو الرجل أو العين الحرفية ، ولا القطع أو القلع الحرفيين ، بل إماتة الأهواء فى الأعضاء ، كما لو كانت الأعضاء هى التى ماتت فلم يعد هناك سبيل لاستخدامها الأهواء ، إذ مات كل منها للآخر بصليب المسيح الذى صلب للمؤمن جسده مع أهوائه وشهواته . أما إذا كان القلع أو القطع أو الإماتة بالمعنى الحرفى ، فلا تكون الأعضاء المماته حرفياً ميتة للخطية ولا لله أيضاً . لأنه كيف يمكننى وأنا ضرير أن أخدم الرب بقراءة أو تحرير ؟ أو كيف يمكننى وأنا كسيح أن أتجول لخدمة المسيح ؟ يقول الرسول : « لأن الموت الذى ماته (المسيح) قد ماته للخطية مرة واحدة ، والحياة التى يحياها فيحياها لله . كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا . إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته . ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات (بحياة القيامة فى المسيح المقام) ، وأعضاءكم آلات بر لله . فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » (رو ٦ : ١٠ — ١٤)

ويقول أيضاً « لأنه لما كنا فى الجسد (كأحياء تحت الناموس) كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكى تثمر للموت . وأما الآن فقد تحررنا من الناموس ، إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح (أى بالحياة الجديدة بقوة روح الحياة فى المسيح) لا بعتق الحرف » (٢ كو ٣ : ٣ — ٩ و رو ٧ : ٥ و ٦) .

ويقول الرسول أيضاً : « إذاً لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح . لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت »

لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد ، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية و (كذبيحة) لأجل الخطية ، (دان الخطية في الجسد) (الدينونة الحرفية في جسد المسيح ، والدينونة الروحية في أجسادنا بكسر نير الخطية عن أعناقنا) ، لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد (أي ليس كأناس في الجسد تحت الناموس واثقين بذواتنا ، وتتحكم فينا شهوات أنفسنا المحرمة) بل حسب الروح (أي كأناس في المسيح الذي يحيا فينا بقوة روحه ، ممسكاً بزمام أنفسنا في الباطن) فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح . لأن اهتمام الجسد هو موت ، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام ، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله ، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله ، لأنه أيضاً لا يستطيع . فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله . وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح ، إن كان روح الله ساكناً فيكم . ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح (الذي به يمسك المسيح زمام النفس في الداخل) فذلك (الشخص) ليس له (أي ليس للمسيح ، أو ، غير مسيحي بالمرة) . وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت (شرعاً في صليبه وعملياً بقوة روحه) بسبب الخطية . وأما الروح فحياة (أي نبع وقوة تدفق حياة المسيح البارة فينا) بسبب البر (أي لسيادته وإنتاجه) . وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم ، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم .

فإذاً ، أيها الإخوة ، نحن مديونون ، ليس للجسد لنعيش حسب الجسد ، لأنه إن عشتم حسب الجسد (أي تحت حكم أهوائه المحرمة) فستموتون

(أى يثبت أنكم لستم للمسيح وتهلكون) . ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون . لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أبناء الله . إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف ، بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا (الذى تفسيره) الآب . الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١—١٧) .

لقد كان الاختبار الناموسى « أجد الناموس لى حينما أريد أن أعمل الحسنى إن الشر حاضر عندى » . (رو ٧ : ٢١) ، أما الاختبار المسيحى فهو : أجد النعمة لى حينما أميل أن أعمل الشر ، أن المسيح للحسنى حاضر عندى . كان الاختبار الناموسى « لما جاءت الوصية ، عاشت الخطية فمت أنا » (رو ٧ : ٩) ، أما الاختبار المسيحى فهو : لما جاءت العطية عاش المسيح وماتت الخطية « لأن بدون الناموس الخطية ميتة » (رو ٧ : ٨) .

ثانيا — الهرب فى كل مايعرضه علينا الشيطان فى العالم من فاسد الأقوال والأعمال ، فكما هو لزام علينا ، إثباتاً لحقيقة موتنا مع المسيح وحياته فينا متى واجهتنا الخطية فى قلوبنا ، أن نهرب منها روحياً بقلوبنا إلى أحضان المسيح بالصلاة إليه والمشغولية به ، كذلك أيضاً هو لزام علينا إثباتاً لنفس حقيقة موتنا مع المسيح وحياته فينا ، أنه متى واجهتنا الخطية فى ظرف من ظروفنا أن نهرب منها حرفياً بأجسامنا ، كما هرب يوسف منها لما واجهته فى امرأة فوطيفار (*) فتحول عنها ، فاراً منها بغض النظر عن كل اعتبار

(*) إن هذا التعليم الخطير لايخص الرجال فقط بل والنساء أيضاً ، فقد قيل عن امرأة فوطيفار أنها « رفعت عينها إلى يوسف » (مشتهية إياه) (تك ٣٩ : ٧) فلتحذر المرأة وتهرب ، لتتحول إلى المسيح عن الشهوة الردية فى قلبها وفى طرقها ، سواء أكانت طالبة بين طلبة ومدرسين ، أو عاملة بين العاملين أو موظفة بين الموظفين أو حتى قديسة بين القديسين .

(تك ٣٩ : ٧–١٢) . لنغلق أبوابنا فى وجه الخطية ، أبواب قلوبنا وعيوننا وآذاننا وأفواهنا ، لنكن كما قال المسيح عنا : « أختى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم » (نش ٤ : ١٢) . ولننفرد بالله فى الصلاة . ولكن لا نجعل موضوع صلاتنا لإلهنا الخطية التى هربنا منها ، وتركناها خلفنا لئلا ينجسنا ذكرها حتى ونحن فى مقادس الله . بل ليكن كلامنا معه عن المسيح فنتقدس بذكره .

فلنهرب من كل تفكير فى الخطية ومن كل كلام عنها ، ولو كان على سبيل انتقادها ، لنهرب من كل صورها ومن محادثاتها ومجالساتها ، ولو تنكرت فى ثوب التقوى . لأن استسلامنا لأى محاولة ، مكشوفة كانت أو مقنعة ، معناه أننا مأخوذون بالشرك . فكما علينا أن نهرب من الشر فى فكر قلوبنا ، علينا أيضاً أن نهرب منه من مرأى عيوننا ، وهذا يفعله كل من تحقق فساد طبيعته القديمة ، وعدم قابليتها للإصلاح كما قال أيوب الصديق (أى البار) « عهداً قطعت لعينى ، فكيف أتطلع فى عذراء » (أى ٣١ : ١) وكما قال داود : « حول عينى عن النظر إلى الباطل » (مز ١١٩ : ٣٧) . وهذا ما يوصى به بولس تيموثاوس ابنه الصريح فى الإيمان قائلا له : « أما الشهوات الشبابية فاهرب منها » (٢ تى ٢ : ٢٢) . أما الذى لا يرى لزوماً لخطة الهرب الروحية من التجربة فى القلب والحرفية من التجربة فى الظرف فإنما هو يجهل فساد طبيعته الأصلية ، فيعرض نفسه لأعظم المخاطر وأوخم العواقب كما قيل : « الحكيم يخشى ويحيد عن الشر . والجاهل يتصلف ويثق » (أم ١٤ : ١٦) أى يثق فى ذاته فلا يكون إلا الوقوع فى الفخ ، كما قيل : « الذكى يبصر الشر فيتوارى ، والحمق يعبرون فيعاقبون » (أم ٢٢ : ٣) . كما حصل

لداود النبي نفسه عندما لم يهرب من مرأى عينيه على السطح (٢ صم ١١) وإن لم نهرب من ميدان التجربة فقد أخذتنا الحية القديمة بحبائلها ولا تكون صلواتنا لإنقاذنا فى هذه الحالة ، إلا عبث باطل ، وصورة للتقوى مع إنكار قوتها ، بل وأكبر أكذوبة عملية ممكن أن يأتيها أناس سائرون مع الله ، الذى قيل عنه : « الله نور . وليس فيه ظلمة البتة . إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ، ولسنا نعمل الحق » (١ يو ١ : ٥ و ٦) .

وعليه يجب أن تكون القدمان فى الهرب الحرفى من ميدان التجربة تسابقان الريح بينما النفس بروح الصلاة هارعة إلى أحضان المسيح ، فتتمتع عملياً بقول الرسول : « لأنكم متم ، وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله » (كو ٣ : ٣) . ويقول النبي : « الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت » (مز ٩١ : ١) ، ليكن المسيح مقراً لقلوبنا وأفكارنا . وهكذا نصبح بالمسيح أحياء لله وأمواتاً للخطية بكيفية عملية ، ولكن ليست الصلاة وحدها هى التى لها هذا الأثر ، بل أيضاً قراءة الكلمة ، ومجالس القديسين ، واجتماعاتهم الجمهورية ، فلنعكف على ذلك كل حين .

د — موتنا بموت المسيح هو موتنا للناموس والذات والخطية والعالم

إن الذى نثق فيه فينصرنا هو الذى نحبه ونفخر به ، ونعمل على إرضائه وتمجيده ، فإذا خذلتنا الذات ، ونصرنا الرب ، نثق فيه ونحبه ونعمل على إرضائه وتمجيده ، أما الذات فنسحب ثقتنا منها ، وهذا هو موتنا للناموس ، ونمقتها ، وهذا هو موتنا للذات ، ولا نعمل على إرضائها ، وهذا هو موتنا للخطية ، ولا نعمل على تعظيمها ، وهذا هو موتنا للعالم ، فبموت المسيح

نحن متنا للناموس والذات والخطية والعالم ، ولكننا بحياة المسيح المقام نحن الآن أحياء لله . وإليك البيان :

١ — كما كان اليهودى ينزع غرلته ويطرحها ، هكذا نحن الآن نزعنا ثقتنا من الجسد وطرحناها جانباً ، لذلك يقول الرسول : « نحن الختان الذين نعبد الله بالروح : ونفتخر فى المسيح يسوع ، ولا نتكل على الجسد » (فى ٣ : ٣) . وهذا هو موتنا للناموس الذى هو مبدأ الثقة فى الذات ، طقسياً كان أو أدبياً لأنه قانون الأحياء فى الجسد ، فالذى يموت يخرجه الموت من تحته ، ونحن بموت المسيح متنا فلم نعد تحت الناموس ولذلك يقول الرسول : « أم تجهلون أيها الإخوة ، لأنى أكلم العارفين بالناموس ، أن الناموس يسود على الإنسان مادام حياً . فإن المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى . ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل . . . حتى إنها ليست زانية أن صارت لرجل آخر . إذاً يا إخوتى أنتم أيضاً قد متم للناموس بجسد المسيح (أى بموت المسيح بالجسد) لكى تصيروا لآخر ، للذى قد أقيم من الأموات لنثمر لله » (رو ٧ : ١ — ٤) .

ومع أن الناموس واحد ، ولا تقسيم فيه ، إلا أن المشار اليه هنا بالذات هو الناموس الأدبى . وهذا واضح من قول الرسول فى نفس الفصل « فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته » (ع ٧) والنهى عن الشهوة واضح أنه من الأدبيات وليس من الطقسيات . ومن ثم يقول الرسول أيضاً : « مت بالناموس (بتنفيذ حكمه فى المسيح بالنيابة عنى) للناموس (لأن موتى أخرجنى من تحته) لأحيا لله ، مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا بل المسيح يحيا فىّ . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان (أى حياة الإيمان) ،

إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل ٢ : ١٩و٢٠) ثم أورى فى مثل هاجر الجارية وابنها إسماعيل ، وسارة الحرة وابنها إسحق أن الناموس كهاجر يولد عبودية وشراً ، أما النعمة كسارة تولد حرية وبراً (غل ٤ : ٢١ و ٣١) .

وإن قيل : لكن إن كنا قد خرجنا بموت المسيح من تحت الناموس كالقانون للسلوك ، فما هو قانون سلوكنا ؟ قانون سلوك المسيحى الآن هو المسيح ذاته ، فلنا حياته (كو ٣ : ٣) وفينا روحه (رو ٨ : ٩) وبين أيدينا كلمته من التكوين للرؤيا الإعلان ذاته لنا (كو ٣ : ١٦) وأمامنا قدوته (يو ١٣ : ١٥) وبالصلاة تصل إلينا قوته (عب ٤ : ١٦ ، ٢كو ١٢ : ٩) .

وإن قيل : ألم يولد المسيح من امرأة تحت الناموس وقد حفظ الناموس ؟ قلنا كان هذا منه كما يليق بإنسان يهودى يتميز بالتقوى ، حتى مات وافتدانا من الناموس ، وقام وجعلنا تحت النعمة ، كما قيل « ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » (غل ٤ : ٥) . ومع ذلك فنحن الأمم لم نكن تحت الناموس يوماً من الأيام (رو ٢ : ١٤ مع ٣ : ١٩) .

أما موتنا للناموس الطقسى بموت المسيح ، فيقول الرسول عنه « إذاً ، إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان (أو مبادىء) العالم ، فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض : لا تمس ولا تذق ولا تجس » (كو ٢ : ٢٠) وأيضاً : « مبطلا (المسيح) بجسده (أى بموته بالجسد) ناموس الوصايا فى فرائض » (أف ٢ : ١٥) وأيضاً : « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب ، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كو ٢ : ١٦) وأيضاً : « ها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً » (غل ٥ : ٢) .

وإن قيل : إن المريمات حفظن السبت (لو ٢٣ : ٥٦) ، قلنا : كان هذا حين كن يهوديات تحت الناموس ولكن حين متن بموت المسيح وخرجن من تحت الناموس ، وقمن بقيامة المسيح ، وصرن مسيحيات تحت النعمة ، لم يعدن إلى ناموس اليهود وسبوتهم ، (أع ١٥ : ٢١ ، ٢٥ : ٨) بل واظبن مع إخوتهن المسيحيين على كسر الخبز فى أول كل أسبوع (أع ٢ : ٤٦ مع ٢٠ : ٧ ، ١ كو ١٦ : ١) .

٢ — لأن الذات قد خذلتنا ، مقتناها ولم نعد نحبها كما قيل « فتذكرون طرقكم الرديئة ، وأعمالكم غير الصالحة ، وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم » (حز ٣٦ : ٣٩) . وإذ مقتناها لشرها وفشلها متنا للذات أو لإعجابنا بها ومحبتنا لها وتعلقنا بها ، فقيل « وبه (أى بالمسيح مائتاً على الصليب) ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية (أى الإنسان كله وليس جزءاً منه الذى هو الغرلة) بختان المسيح ، مدفونين معه فى المعمودية (رمز إلغاء الذات فى الصليب) » (كو ٢ : ١١ و ١٢) « مع المسيح صلبت (أنا ، أى الذات) » (غل ٢ : ٢٠) « إنساننا العتيق قد صلب معه » (رو ٦ : ٦) « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد » (غل ٥ : ٢٤) « لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ، ولا أحد يموت لذاته ، لأننا إن عشنا فللرب نعيش ، وإن متنا فللرب نموت ، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن . لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكى يسود على الأحياء والأموات » (رو ١٤ : ٧—٩) « وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم ، بل للذى مات لأجلهم وقام » (٢ كو ٥ : ١٥) .

٣ — أيضاً لأن الذات الأنانية الفاشلة الخاطئة قد خذلتنا وسحبنا ثقتنا منها ومقتناها لذلك نحن أيضاً لا نصنع رضاها ، ولا نشبع رغائبها ، ولا نتمم

أغراضها . وهذا هو موتنا للخطية بموت المسيح كما قيل : « نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ؟ أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة ؟ . . . عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لانعود نستعبد أيضاً للخطية » (رو ٦ : ٢ — ٦) .

٤ — لذلك أيضاً نحن لا نفخر بذواتنا ، كما قيل « لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه . . . حتى كما هو مكتوب ، من افتخر فليفتخر بالرب » (١ كو ١ : ٢٩ ، ٣١) ، ولانعمل لها مايعظمها ويدعوها للفرح والافتخار بنفسها من مبادىء ومسرات ومطامع عالمية . وهذا هو موتنا للعالم : من حيث مبادئه الدينية التى تجعل للذات شأناً كعاملة ، وافتخاراً بما تظهر به فى أعمالها ، كما قيل « إذاً ، إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان (مبادىء) العالم ، فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض . . . حسب وصايا وتعاليم الناس ؟ » (كو ٢ : ٢٠ — ٢٢) وأيضاً « لما كنا قاصرين (أى فى العهد القديم) كنا مستعبدين تحت أركان العالم » (ومبادىء) العالم الدينية هى الناموس . لذلك قيل عن القدس أيضاً أنه « القدس العالمى » (عب ٩ : ١) .

« ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى . . . فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان (أو المبادىء) الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد ؟ » (غل ٤ : ٣ — ٥ ، ٩) .

وقيل أيضاً : « وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم » (غل ٦ : ١٤) .

بل وقد متنا أيضاً للمسرات العالمية ، كما قال يوحنا الحبيب « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب ، بل من العالم . والعالم يمضي وشهوته . وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (١ يو ٢ : ١٥ — ١٧) .

ويقول يعقوب : « أيها الزناة والزواني (بالخيانة لله على قياس الخيانة الزوجية أر ٣ : ٢٠) ، أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله ؟ فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » (يع ٤ : ٤) ويقول بولس : إن هذه المحبة عداوة لصليب المسيح ، الذي فصلنا عنها ، فيقول « لأن كثيرين يسيرون . . . وهم أعداء صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك ، الذي إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم ، الذين يفتكرون في الأرضيات ، فإن سيرتنا نحن هي في السموات » (في ٣ : ١٨ — ٢٠) .

بل وقد متنا أيضاً بصليب المسيح لنفس الأمور العالمية المباحة ، بمعنى أنه من واجبنا أن نستعملها بغير أن تتعلق قلوبنا بها ، بحيث يتساوى عندنا القليل منها مع الكثير ، بل يتساوى وجودها مع عدمه « فأقول هذا ، أيها الإخوة ، الوقت منذ الآن مقصر (أي لا يكفي لنا وللرب . فيجب تخصيص كل جهدنا للرب كل الوقت) لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين يبكون كأنهم لا يبكون . والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون . والذين يشترون كأنهم لا يملكون . والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيأة هذا العالم تزول » (١ كو ٧ : ٢٩ — ٣١) .

وقال الرب يسوع : « إن كان أحد يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً . ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً . . فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (لو ١٤ : ٢٦و٢٧و٣٣) .

ومن هنا نرى أن صليب المسيح فصلنا كأموات عن محبة المال بحيث تتساوى عندنا قلته بين أيدينا مع كثرته لذلك قال الرسول : « فإن كان لنا قوت وكسوة ، فلنكتف بهما » (١ تى ٦ : ٨) بل يجب أن يتساوى عندنا وجوده مع عدمه . فقد قال الرسول : « قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه . أعرف أن أتضع ، وأعرف أيضاً أن أستفضل فى كل شىء ، وفى جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١١و١٢) .

وهذا لأننا نعلم « أنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله » (لو ١٢ : ١٥) وأنه « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) « وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك . لأن محبة المال أصل لكل الشرور ، الذى إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة . وأما أنت ، يا إنسان الله ، فاهرب من هذا » (١ تى ٦ : ٩ — ١١) .

ومن ثم فصليب المسيح يعلمنا أن لا نمسك بالمال بخلاً ، ولا نركض وراءه طمعاً . فقط نعمل الصالح بأيدينا لكى نأكل خبز أنفسنا ونعطى أيضاً من له احتياج (٢ تس ٣ : ٦ — ١٤ ، أف ٤ : ٢٨) .

هـ — خلع العتيق ولبس الجديد مقاماً ومسئولية وحالة عتيدة أبدية

ينتج من كل ما فات أن صلب الجسد أو الإنسان العتيق ، أو موته أو خلعه ، هى كلها أمور شرعية تمت لكل منا بموت المسيح عنه ، وإيمانه هو بذلك . ولكن لها صدى عملى فى تصرفاتنا بقوة الروح القدس . فتكون تصرفاتنا روحية لا جسدية ، كأن الجسد مات فعلا وخلعناه وانتهى فى صفته الآدمية الساقطة ، مع أنه فعلا لم يمت ولا انتهى ، لأن هذا لا يتم إلا بخلعه بالموت الفعلى أو فى الاختطاف .

لذلك عندما يكون الكلام عن المقام الشرعى ، ترد هذه العبارات بصيغة الماضى كشىء تم فعلا كقوله : « إنساننا العتيق قد صلب معه » « مع مع المسيح صلبت » « صلب العالم لى وأنا للعالم » « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » « لأنكم متم » « خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله » « الأشياء العتيقة قد مضت » ، ولكن هذا المقام الشرعى يتحول بقوة روح الحياة فينا ، إلى حالة عملية تتوافق مع هذا المقام الشرعى ، وفى هذه الحالة ترد تلك الأفعال فى صيغة الأمر باعتبارها الحالة الواجبة والمنتظرة مناطبقاً لذلك المقام ، ومن ثم يقال مثلا : « احسبوا أنفسكم أمواتاً » « أميتوا أعضاءكم التى على الأرض » « كما هو حق فى يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور » (ف ٤ : ٢١و٢٢) .

كما وينتج من كل ما فات أيضاً أن لبسنا الجديد ، هو أيضاً مقام صار لنا من ساعة إيماننا بالمسيح الإنسان الجديد ، ونوالنا الحياة الجديدة فيه ،

كالمقام والممجد فى السموات . فالله لايرانا إلا فيه ، لنا قبوله وحقوقه ومجده لديه تعالى .

على أن لبسنا الإنسان الجديد بنوالنا الحياة فى المسيح ، يتحول معنا أيضاً بنعمة الله وقوة روح الحياة فى المسيح يسوع ، إلى حالة عملية تتوافق مع هذا المقام . وفى هذه الحالة تأتى أيضاً تلك الأفعال فى صيغة الأمر ، على اعتبار أن المطلوب هو الحالة الواجبة والمنتظرة طبقاً لذلك المقام ، لذلك يقال مثلا : « البسوا الرب يسوع المسيح » (رو ١٣ : ١٤) « كما هو حق فى يسوع أن . . . تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢١ — ٢٤) « فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين . أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة » (كو ٣ : ١٢) .

و — الخلاص فى مراحله

وينتج أيضاً من كل مافات أنه توجد أربع مراحل للخلاص

الأولى : أن المؤمن الحقيقى خلص فعلا الآن من دينونة الخطية ، من اللحظة التى فيها آمن بالمسيح أنه حمل عنه هذه الدينونة على الصليب كقول الرسول : « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » (رو ١٠ : ٩) « إذاً لاشىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » (رو ٨ : ١) .

الثانية : أن المؤمن الحقيقى يخلص عملياً من قوة الخطية فى كل حملاتها بالمسيح الحى فى السماء شفيعاً لإعانته وصيانته « إن كنا ونحن أعداء قد

صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى ونحن مصالحون نخلص بحياته »
(رو ٥ : ١٠) « فمن ثمَّ يقدر (المسيح) أن يخلص أيضاً إلى التمام (أو
إلى النهاية) الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم »
(عب ٧ : ٢٥) .

الثالثة : أن المؤمن الحقيقى سيخلص من وجود الخطية فيه بخلع جسده فى الرقاد ، أو بتغيير جسده مع غيره من المؤمنين فى الاختطاف « فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا . قد تناهى الليل (ليل غياب الرب) وتقارب النهار (نهار مجيئه إلينا) » (رو ١٣ : ١١ و ١٢) « سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء » (فى ٣ : ٢٠ و ٢١) .

الرابعة : العصمة فى السماء . « سيصير الاختبار بالغاً النهاية فى الكمال عندما يغيرنا المسيح على صورته « ويوقفنا أمام مجده بلا عيب فى الابتهاج » (يه ٢٤) . هذا الاختبار السماوى ، اختبار العصمة والكمال الثابت الشامل هو ما أشار إليه الرسول فى قوله : « متوقعين التبنى فداء أجسادنا . لأننا بالرجاء خلصنا . ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء . لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً ؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر » (رو ٨ : ٢٣ — ٢٥)

فهـــرس

الباب الرابع

المؤمن الحقيقى ومستحيلاته

الباب الرابع

المؤمن الحقيقي ومستحيلاته

الفصل الأول

استحالة عيشته فى الخطية ، ولو أنه قد يزل فيها

أ — ما هو مستحيل وما هو ممكن بالنسبة للمؤمن الحقيقى

يتلخص مايتعلق بالمؤمن الحقيقى فى أنه : تاب عن الخطية ، وآمن بالمسيح ، وخلص من العذاب الأبدى . ومثل هذا الشخص توجد ثلاثة أمور من المستحيل أن تحصل له . الى جانبها ثلاثة أمور ممكن حصولها :

١ — من المستحيل أن يعيش فى الخطية ولو من الممكن مع الأسف أن يتعرض للزلل فيها ٢ — من المستحيل أن يكفر ، ولو انه من الممكن ، مع الأسف ، أن يتعرض للشك ٣ — من المستحيل أن يهلك ، ولو انه من الممكن ، مع الأسف ، أن يتعرض هنا للتأديبات حتى الموت .

ب — معدات النعمة لصيانة المخلص مما يحتمل حصوله

لكن ليس معنى ذلك أنه مباح للمؤمن الحقيقى أن يزل فى الخطية أو يشك فى المسيح ، بل بالعكس ، قد أعدت نعمة الله له مايلزم لصيانته حتى من مجرد الزلة ومجرد الشك . وهذا فى وسائط النعمة الثلاث : الكلمة والصلاة والاجتماعات . وهى وسائط الاتصال الفعال بالله باستمداد قوته لصيانتها (اقرأ ماجاء عن ذلك فى باب الولادة الثانية بنقطة تحت عنوان : الميول الروحية ووسائط النعمة الثلاث).

ج — الموانع الثلاثة التي تمنع المؤمن الحقيقي من العيشة في الخطية

إن السبب في تعرض المؤمن الحقيقي لإمكانية الزلل ، هو عدم سهره ضد حركات طبيعته القديمة ، الأمر المترتب على إغفاله لوسائط النعمة ، أو على استعمالها بكيفية صورية . ويشار إلى إمكانية الزلل بالقول : « إن انسبق إنسان فأخذ في زلة ما » (غل ٦ : ١) وأيضاً « في أشياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣ : ٢) . على أنه وإن زل المؤمن الحقيقي أو عثر فإنه من المستحيل أن يظل عائشاً أو مستمراً في الخطية لذلك يقال : « فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » (رو ٦ : ١٤) . والسبب في هذا يرجع إلى أن النعمة ، كما أعدت للمؤمن الحقيقي وسائطها الثلاث لصيانته من مجرد الزلة ، كذلك أعدت له بعض موانع تمنعه منعاً باتاً من العيشة في الخطية ، حتى ولو زل فيها . وهذه الموانع هي :

١ — قداسة طبيعة الله فيه

إن أول مانع يمنع المؤمن الحقيقي من العيشة في الخطية هو حصوله بالميلاد الثاني على الطبيعة الإلهية القدوسة التي تكرهه في الخطية وتنفره منها ، وتحببه في القداسة وتحمله إليها ، والتي وصفها الرسول بالقول : « لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٤) . فإن أخذ المؤمن الحقيقي في زلة ما . فإنه بسبب هذه الطبيعة لا يطيق البقاء فيها ولو كانت مجرد فكر ، بل بحكم بغضة طبيعته الروحية لها ، لابد وأن ينتفض للتخلص منها بالالتجاء إلى الله ، والاعتراف له ، والاستنجاد به عليها . ولذلك أيضاً يقول يوحنا الرسول :

« ياأولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا ، وإن أخطأ أحد ، فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ، الذى هو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل (أو لكل) العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ١و٢) .

أى أن هذا الشفيع والمعين البار ، باستحقاقات كفارته من جهة ، وبطبيعة بره الموجودة فى كل مؤمن حقيق من جهة أخرى — هو الضامن لعدم استمرار هذا المؤمن الحقيق فى الزلة التى أخذ فيها . ومن ثم يكتب أيضاً بعد ذلك عن استحالة عيشة المؤمن الحقيق فى الخطية ، فيقول : « أيها الأولاد ، لايضلنكم أحد ، من يفعل البر (أو الذى من دأبه فعل البر أو العيشه فيه) فهو بار ، كما أن ذاك (يقصد الرب يسوع) بار . من يفعل الخطية (أو الذى من دأبه فعل الخطية أو العيشة فيها) فهو من إبليس ، لأن إبليس من البدء (أى ابتداء من سقوطه فصاعداً) يخطىء (أو من دأبه فعل الخطية) . لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال ابليس (يقصد أعماله فى البشر) . كل من هو مولود من الله لايفعل الخطية . لأن زرعه (أى زرع الله فيه وهو الطبيعة الجديدة المعصومة فى ذاتها وفى أفعالها) يثبت فيه . ولا يستطيع أن يخطىء ، لأنه مولود من الله (أى أن المؤمن الحقيق بالطبيعة التى هو بها مولود من الله لايخطىء ، بل ولا يستطيع أن يستمر فى الخطأ أو يعيش فيه ، وإذا أخطأ فبالطبيعة التى هو بها مولود من آدم . (راجع رو ٧ : ١٧و٢٠) . بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس . كل من لايفعل البر (أى الذى ليس فعل البر من شأنه ، أو ليس فعل البر هو خطته المتبعة) فليس من الله » (١ يو ٣ : ٧) .

٢ — عمل روح الله فيه

إن المانع الثانى الذى يجعل من المستحيل عيشة المؤمن فى الخطية ولو زلّ فيها هو عمل روح الله الساكن فيه والمنتصر بقوته على الخطية الساكنة فيه فى كل حملاتها الباطنية عليه لأنه مهما كان الجسد فالروح أقوى وأقدر ، وعليه فالنصر حليف المؤمن الحقيقى طالما كان منقاداً بروح الله فى القضاء على حركات الجسد من أولها فى الداخل ، كما قيل : « الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون مالا تريدون » (غل ٥ : ١٧) أى مالا تريدون أنتم بالجسد بل تفعلون ما يريده الله بالروح . وهذه هى النصرة ، متى كان الروح هو العامل فى حالة الانقياد به لإماتة أعمال الجسد ، أما إذا حصل من جانب المؤمن الحقيقى أقل تساهل فى نفسه مع أى فكر أو أى ميل مضاد لقداسة ووداعة روح المسيح ، ففى الحال يحزن الروح القدس ويمنع ينابيع البهجة والقوة عن نفس المؤمن الحقيقى ، فإذا به حزين ، لذلك قيل : « لاتحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء » (أف ٤ : ٣٠) .

وإذ لا يستطيع المؤمن مواصلة سيره فى طريق الرب بروح الحزن والضعف ، يلتزم أن يقترب من الآب السماوى ، معترفاً بخطئه وتساهله وتراخيه ، ملتمساً العفو والرضا . لذلك يقول داود فى مثل هذه المناسبة الأليمة : « لما سكت (عن الإعتراف بخطيتى) بليت عظامى من زفيرى (أى تنهدى) اليوم كله (بسبب عذاب ضميرى وحرمان قلبى من الفرح) لأن يدك ثقلت على نهاراً وليلا . تحولت رطوبتى (أى نضارتى) إلى يبوسة القيظ . سلاه . أعترف لك بخطيتى ولا أكتم إثمى . قلت : أعترف

للرب بذنبي ، وأنت رفعت آثام خطيتي . سلاه » (مز ٣٢ : ٣ — ٥)
« أسمعني سروراً وفرحاً ، فتبتهج عظام سحقتها . . . رد لي بهجة خلاصك ،
وبروح منتدبة اعضدني ، فأعلم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون »
(مز ٥١ : ٨و١٢و١٣) .

ويقول يوحنا الرسول : « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى
يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (١ يو ١ : ٩) . وهذا هو طريق
الله في رد النفس حتى لا تستمر في أى شر ولو فكرى . لذلك قيل « يرد
نفسي يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه » (مز ٢٣ : ٣) وهذا العمل من
جانب روح الله يجعل عيشة المؤمن في الخطية أمراً مستحيلا .

٣ — تأديبات الله

إن المانع الثالث الذى يجعل عيشة المؤمن الحقيقى فى الخطية أمراً
مستحيلا هو تأديبات الله . لأنه إذا تساهل المؤمن الحقيقى مع الزلة التى
أخذ فيها ، ولو كانت بمجرد ميل شرير ، ومال للبقاء فيها ولم يحركه لتركها
حزن الروح القدس فى داخله ، حينئذ لابد وأن تمتد عليه يد الله فى أمواله
وأولاده وجسمه ، ولن ترتفع عنه حتى ترده إلى حالة القداسة العملية
أحسن وأثبت مما كان عليه كقول الرسول : « لكى نشترك فى قداسته . . .
فيعطى (التأديب) الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » (عب ١٢ : ١٠و١١) .

وطالما أن تأديبات الله لقديسيه لن تكف عنهم حتى تقدسهم مما شاب
قداستهم لذلك صار من المستحيل استمرار المؤمن الحقيقى فى الخطية . وهكذا
بأسرع مما نتصور يردع المتساهلون عن الاسترسال فيها ولو بالمرض كالأخ

الكورنثى (١كو ٥ : ٤و٥ ، ٢كو ٢ : ٥) أو بالموت كشمشون (قض١٦) وهذا بأسرع التأديبات الرادعة حتى أنه لايمكن للقارىء أن يفترض فى وقائع قضية شمشون مثلا أنه بقى فى حالته المضادة للقداسة أمداً طويلا ، (تأمل التضييق عليه فى غزة ثم فى وادى سورق قض ١٦) . إذ لابد من مبادرة الرب للردع والتقديس . أما إذا لم تكن الحالة حالة تنجس بالخطية بل حالة عالمية كهجران العبادة ، أو الانهماك فى تكويم الأموال وتوفير الرفاهية والبلوغ إلى العظمة العالية . فقد تنتظر تأديبات الله على أمثال هؤلاء سنين طويلة ، ولكن إذ لايفكرون جدياً فى الرجوع تقتحمهم التأديبات فجأة لإخراجهم من حالتهم رغم أنوفهم وردهم للعبادة كما فعل الله مع لوط لإخراجه من سدوم (تك ١٤و١٩) ومع نعمى فى ردها لمركزها فى العبادة (را ١) ، فحتى أمثال هؤلاء لايمكن تركهم للعالم ، بل لابد من ردهم عنه ولو بعد مدة .

الفصل الثانى

استحالة كفره بالمسيح ولو انه قد يشك فيه

الموانع التى تمنع المؤمن الحقيقى من الكفر بالمسيح

تقوم أيضاً فى وجه المؤمن الحقيقى ثلاثة سدود منيعة تمنعه من الكفر بالمسيح ، ولو تعرض للشك فيه ، أو ضعف إيمانه به . فبسبب عدم سهره ضد طبيعته القديمة بممارسة وسائط النعمة من الممكن ، بكل أسف ، أن يتعرض للشك فى المسيح ، ولكن بسبب تلك الموانع التى سنأتى على ذكرها

فيما يلى ، من المستحيل أن يرتد المؤمن عن المسيح ، كقول الرسول : « أما نحن (يقصد المؤمنين الحقيقيين بالمباينة مع الاسميين) فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لاقتناء النفس » (عب ١٠ : ٣٩)

١ — إن الإيمان فى قلبه هو عطية الله . فلما أقر بطرس بالإيمان المسيحى قائلا للرب يسوع : « أنت المسيح ابن الله الحى . . . أجاب يسوع وقال له : طوبى لك ، ياسمعان بن يونا ، إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » (مت ١٦ : ١٦ و ١٧) من أجل هذا كتب بطرس للذين آمنوا قائلا : « إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح » (٢ بط ١ : ١) .

إن هبات الله الزمنية ممكن أن تؤخذ فى أى وقت على سبيل الامتحان أو التأديب . كما قال أيوب وقت أخذها منه : « الرب أعطى والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً » (أى ١ : ٢١) . أما هبات الله الروحية ، كالتوبة والإيمان والغفران والتبرير والحياة الجديدة والروح القدس ، فهى هبات دائمة قيل عنها : « لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١ : ٢٩) .

والسبب هو أن الله لما أعطانا إياها ، وفى مقدمتها الإيمان ، كان ذلك ونحن خطاة ، فلم يكن البر فى الذات هو أساس نوالها حتى يكون هو أساس بقائها . لأن الذات خالية من البر أصلا . ولكن بما أن الله بار ولا يمكن أن يعطى إلا بالبر ، لذلك جاد علينا مجاناً ببره الإلهى فى المسيح لكى يكون أساساً دائماً لنوال ودوام عطية الإيمان وغيرها من العطايا . لذلك قال بطرس الرسول إن الإيمان معطى لنا « ببر إلهنا والمخلص يسوع

المسيح » وقال بولس الرسول : إنه قد وهب لنا لأجل المسيح لا أن نؤمن به فقط ، بل أن نتألم أيضاً لأجله .

٢ — إن الإيمان في قلب المؤمن محفوظ بشفاعة المسيح

يقول الرب لبطرس : « هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة ، ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك » (لو ٢٢ : ٣١ و ٣٢) وما طلبه الرب لبطرس طلبه لنا ولجميع المؤمنين به فقال : « أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم . . وهم قبلوا وعلموا يقيناً إنى خرجت من عندك وآمنوا أنك أرسلتنى . . . من أجلهم أنا أسأل . . . احفظهم فى اسمك . . أسأل . . أن تحفظهم من الشرير . . . قدسهم فى حقك . كلامك هو حق . . ولأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق . ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم » (يو ١٧ : ٦—٢٠) . فلأجل المسيح وهب لنا أن نكون مؤمنين به (فى ١ : ٢٩) ولأجله ، ولأجله فقط ، يحفظ الله إيمان قلوبنا به من الضياع .

٣ — إن الإيمان فى قلب المؤمن محروس بختم روح الله عليه

لأن الروح القدس هو ختم الله عليه فى القلب لا للمصادقة فقط ، بل ولمنع خروجه من القلب أيضاً ، فقيل « إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (أف ١ : ١٠) . وحاشا لختم الروح القدس الذى أغلق على الإيمان فى القلب أن ينكسر فيعرض الإيمان فى القلب للضياع .

إن الله أنعم على الإنسان بالجنة واستأمنه عليها ، نخان الأمانة ، وأضاع

الجنة . لذلك لما أعطاه الإيمان ، وهو أثمن من الجنة ، لم يستأمنه عليه ، بل استأمن عليه روحه القدوس ليقوم بحراسته لئلا يضيع . لذلك قيل للمؤمنين الحقيقيين « أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان (أى أن إيمانهم محروس ليكونوا هم به محروسون) لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (١ بط ١ : ٥) . وأيضاً « المحفوظين ليسوع المسيح » (يه ١) . وحفظهم ليسوع المسيح لا يكون إلا بحفظ إيمانهم بالرب يسوع المسيح .

الفصل الثالث

استحالة هلاك المؤمن ولو انه قد يؤدب

إن المؤمن الحقيقى قد يؤدب هنا على الأرض فى الزمان . بل ويمكن أن يهلك جسده هنا على الأرض تحت التأديب ، ولكن من المستحيل أن تهلك نفسه فى جهنم كما قيل عن الأخ الكورنثى « يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع » (١ كو ٥ : ٥) . كما قيل أيضاً « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا . ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم » (١ كو ١١ : ٣٠ — ٣٢) .

إن موسى النبى وإن كان قد مات ليحرم بالموت من دخول كنعان تأديباً له على مخالفة الرب فى ضرب الصخرة (عد ٢٠ : ٢ — ١٢) إلا أنه بروحه دخل الفردوس ، بدليل أن الرب يسوع فى حادثة تجليه على الجبل استحضره مع إيليا ، وقال الكتاب عنه ، أنه ظهر معه بمجد (لو ٩ : ٣١) . فهو إذا حضر من الفردوس . فوإن كان المؤمن الحقيقى قد يؤدب لدرجة

موته بالجسد هنا ، إلا أنه من المستحيل أن يذهب إلى الجحيم ليهلك فيه .
والكتاب ينفى الهلاك عن المؤمن الحقيقى بقوله : « إذاً لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » (رو ٨ : ١) و « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) « ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة » (يو ٥ : ٢٤) وأيضاً : « خرافى تسمع صوتى . وأنا أعرفها فتتبعنى . وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد » (يو ١٠ : ٢٧ و ٢٨) « فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لاقتناء النفس » (عب ١٠ : ٣٩) فموت المؤمن الحقيقى هنا تحت التأديب ، هو من الممكنات ، أما هلاكه إلى الأبد فى الجحيم فمن المستحيلات .

الفصل الرابع

من هم ، إذن ، الذين يرتدون ويهلكون

ممن يدعون مسيحيين ؟

وكما هو من المستحيل أن يعيش مؤمن حقيقى فى الخطية ، أو أن يكفر بالمسيح ، كذلك من المستحيل أن يعيش أو يستمر شخص مرائى فى توبة وإيمان زائفين تصنّعهما فى نظر الناس وخدع نفسه بهما . فالذين يرتدون ويهلكون هم السطحيون والمتقلبون المزيفون من الأصل فى توبتهم وإيمانهم هؤلاء لم يتوبوا بقلوبهم عن الخطية قط ولم يؤمنوا بالمسيح قط وإنما هم متظاهرون فقط . فهم فى قلوبهم مرتدون عن المسيح إلى الخطية مهما بدا عليهم أمام الناس من الانفصال عن الخطية والالتصاق بالمسيح وهم المعبر

عنهم بالقول « انظروا أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحى » (عب ٣ : ١٢) . وهؤلاء لابد من ارتدادهم — يوماً من الأيام — فى حياتهم العلنية إلى العيشة فى الخطية كما كانوا . وبذلك يثبتون ما كانت عليهم قلوبهم فى حالة عدم التوبة وعدم الإيمان حين كانوا يتظاهرون بها . أما ارتدادهم عن علاقتهم الظاهرة مع المسيح وتحولهم علناً بين الناس عن اجتماعات العبادة المسيحية — فلا يلجأون إليه إلا وقت الاضطهاد ، وعن أمثال هؤلاء قال الرب : « هؤلاء ليس لهم أصل (أى أن إيمانهم غير متأصل فى قلوبهم ، فيؤمنون (أو يعلنون بالمعمودية إيمانهم رسمياً بين الناس بغير إيمان أصيل فى القلب) . وفى وقت التجربة يرتدون (من مركزهم الرسمى بين الناس كمسيحيين) » (لو ٨ : ١٣) . كما فعل بعض العبرانيين فى بداية المسيحية ، فقيل عنهم « الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السموية وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ، وسقطوا (أى سقطوا من الإيمان المسيحى ، أو ارتدوا عن المسيح ، أى أعلنوا أمام الملأ رفضهم القلبى للمسيح ، وهؤلاء طبعاً لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه » (عب ٦ : ٤ — ٦) أى بما أنهم أعلنوا رفضهم لحقيقة لاهوته وحقيقة موته الكفارى يكونوا بالتبعية قد سلموا مع قاتليه أنه مات كمذنب ، وعليه لا خلاص لهم مادام لا إيمان لهم بالمخلص ، لذلك قيل عنهم فى الرسالة « فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق (أى إذا أعلنا رفض قلوبنا للمسيح كالرب والمخلص بموته بعد ما عرفنا هذا الحق واعترفنا به) لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين » (عب ١٠ : ٢٦ و ٢٧) .

وآخرون يرتدون للعودة إلى شهواتهم كما يقول الرسول بطرس : «كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعد ماعرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم . قد أصابهم ما فى المثل الصادق كلب عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة » (٢ بط ٢ : ٢١ و ٢٢) ولكى يثبت الروح القدس أنهم من الأول للآخر أى من مظهر توبتهم ومن ارتدادهم العلنى ، لم يكونوا من المؤمنين الحقيقيين بالمرة ، قاد يوحنا الحبيب ليكتب عنهم قائلا : « منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا » (١ يو ٢ : ١٩) . وفى كل مدة اتصالهم بالاجتماعات المسيحية واعترافهم الجهارى بالمسيح ، حين لا يكون اضطهادات يتشبهون بالمؤمنين الحقيقيين فى المظهر مع ماهم عليه من اختلاف فى الجوهر ، فيشبهون بزرع ولكن « على الصخر » (لو ٨ : ٦ و ١٣) ، وكعذارى ولكن « جاهلات » (مت ٢٥ : ١ و ٢) وأسماك ولكن « أردياء » (مت ١٣ : ٤٨) وبأخوة ولكن « كذبة » (٢ كو ١١ : ٢٦) وبعبد ولكن « ردىء » (مت ٢٤ : ٤٨) وبإنسان داخل العرس ولكن « ليس عليه لباس العرس » (مت ٢٢ : ١٢) وبمتقيء ما عنده ولكنه « كلب » ومغتسل ولكنه « خنزيرة » (٢ بط ٢ : ٢٢) « وممن صاروا شركاء الروح القدس » أى فى مظاهر المسيحية من صلاة وترنيم وعظات وأفراح ومعجزات (عب ٦ : ٤ — ٦) ولكنهم ليسوا ممن صاروا « شركاء المسيح » أى فى جوهر الديانة الذى هو الحياة الإلهية (عب ٣ : ١٤ و ١ يو ٥ : ٣) وفى الكرمة ولكن « غير ثابت فيها » (يو ١٥ : ٤ — ٧) وفى اللطفة ولكن « غير ثابت فيه » (رو ١١ : ٢١ — ٢٣) وهذا كله معناه أنه فى المسيحية أو الشبكة الجامعة من كل نوع (مت ١٣ : ٤٧) ولكنه ليس « فى المسيح » الذى كل من فيه « خليقة جديدة » (٢ كو ٥ : ١٧) .

إن الإسرائليين الذين خرجوا من مصر بدون إيمان (خر ١٤ : ١٠ — ١٢) وظهر وتبرهن فى البرية عدم إيمان قلوبهم بالرب لإدخالهم أرض كنعان قد أهلكهم الرب فى البرية ولم يدخلهم أرض كنعان ، ومن ثم قيل عنهم « الرب بعد ما خلص الشعب من أرض مصر أهلك أيضاً الذين لم يؤمنوا » (يه ٥) « فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الإيمان » (عب ٣ : ١٩) . وكان هلاكهم الزمنى فى البرية رمزاً للهلاك الأبدى الذى يمضى إليه المرتدون الآن عن المسيح ، والكتاب نفسه هو الذى قال : إن كل ما أصابهم حدث « مثالا » (١ كو ١٠ : ٦) كما هو واضح منه أيضاً أن بعض الذين ماتوا فى البرية كموسى وهرون ومريم وأمثالهم لم يكن السبب فى ذلك عدم مسرة الرب بهم ، أو عدم إيمان قلوبهم بقدرته على إدخالهم أرض كنعان ، لأنهم كانوا مؤمنين حقيقيين ، وهم الذين عنهم وعن أمثالهم قال الكتاب « بالإيمان اجتازوا فى البحر الأحمر » (عب ١١ : ٢٩) بل كان السبب فى موت هؤلاء المؤمنين الحقيقيين فى البرية هو التعثر فى خطايا عادية لا فى خطية عدم الإيمان المهلكة التى علامتها العيشة فى الخطية ، فموتهم تأديب فى الزمان .. أما أرواحهم فخلصت فى الأبدية . لأن كل خطايا المؤمنين الحقيقيين مغفورة لهم أبدياً بالإيمان للحياة الأبدية وتغفر لهم زمنياً بالاعتراف بها لرد الشركة الروحية ، وهذا وذاك سببه امتلاكهم للكفارة بالإيمان ، أما غير المؤمنين بها فخطية عدم إيمانهم بها لا تكفير عنها ولا غفران لها ، لأن الكفارة هى عن كل الخطايا التى تغفر للمؤمن على أساس الإيمان .

فهرس

الباب الخامس

المسئولية والاختيار

الباب الخامس
المسئولية والاختيار

الفصل الأول
المسئولية

١ - الإنسان مخلوق عاقل أدبي مسئول حر فيما يفعل (*)

للمخلوق العاقل في كل زمان (ملاكاً كان أو إنساناً) ما يكفي من الإنعامات والإعدادات الإلهية ، لأن يجعله قادراً على القيام بما يجب عليه لله ، إذا أراد ذلك . بحيث إذا لم يقم به فلا يكون السبب نقصاً في الإنعام أو الإعلان أو الإعداد ، بل في عدم إرادة المخلوق . وكان مطلوباً بطبيعة الحال ، من الملاك الطاهر أو الإنسان الطاهر أن يطيع الله ، لأنه قادر على الطاعة بقوة الله ، طالما هو يريدها . والدليل على ذلك أن الملائكة الذين عصوا على الله كانوا في فترة من الزمن مجهولة الأمد في حالة الطاعة لله كغيرهم من الملائكة . لأنهم كانوا مثلهم يريدونها . وهكذا كان يمكنهم أن يستمروا فيها كغيرهم ، فيما لو أرادوا . فلما عصوا استحقوا الهلاك عدلا ، لأنهم لم يعجزوا عن الطاعة بل لم يريدوها ، لذلك دانهم الله . ونحن نعلم طبعاً أن دينونة الله هي حسب العدل . وكذلك أيضاً آدم قبل أن يعصى الله ظل

(*) الجواب على الأسئلة : لماذا خلق الله الإنسان حر الإرادة ؟ ولماذا لم يخلقه معصوماً ؟ وغير ذلك . . اقرأ عنه في معضلة وجود الخطية في آخر الجزء الأول ، جزء « المقدمة العلمية المنطقية » .

فى حال الطاعة فترة من الزمن ، إذ كان يريدها . وهكذا كان يمكنه أن يستمر فيها فيما لو استمر يريدها . ولذلك لما عصى الله دانه الله ودينونة الله طبعاً هى حسب العدل .

ب — الخاطى مسئول عن التوبة لله بنسبة ما أعطى من معرفة

إن الإنسان الخاطىء باعتباره نسل آدم الساقط ، مطلوب منه فى كل زمان ومكان ، من باب الرحمة على أساس الذبيحة ، أن يتوب إلى الله . لأنه قادر على التوبة إذا أرادها ، وإلا فسيهلك ، لا لأنه قد يعجز عنها بل لأنه لم يردها . ولذلك دين عدلا أهل صور وصيداء ، وسدوم وعمورة لأنهم لم يتوبوا (تك ١١ : ٢٠ — ٢٤) . وهذا لأن ماقسم لهم به فى زمانهم من قسط الإنعام والإعلان والإعداد من جانب الله ، كان بطبيعة الحال كافياً لاقتيادهم إلى التوبة لو أرادوها . مع أن ذلك القسط الذى قسم لهم به كان أقل بكثير مما قسم به لأهل كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم ، الذين لم يتوبوا أيضاً رغم أن قسطهم كان أوفر بحصولهم على الناموس والأنبياء ، وحضور الرب بنفسه متجسداً فى وسطهم ، وعمله القوات العظمى بينهم ، هذا علاوة على ماكان لهم ولغيرهم من سابق شهادة الخليقة والضمير والذبيحة والعناية (اقرأ الجزء الأول) .

لذلك كانت دينونتهم أعظم . لأن الله طبعاً سيدين كل واحد تبعاً لمبلغ ما احتقره من إنعام ، ورفضه من إعلان ، وأساء استعماله من إعداد كما قيل : « حينئذ ابتدأ يوبخ المدن التى صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب : ويل لك ياكورزين . ويل لك يابيت صيدا . لأنه لو صنعت فى صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً فى المسوح والرماد . ولكن أقول لكم

إن صور وصيداء تكون لهما (أى لمن كانوا سكانهما فى وقت القضاء عليهما) حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لكما . وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية . لأنه لو صنعت فى سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم (أى لما محاها القضاء عن وجه الأرض) . ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لك» (مت ١١ : ٢٠ — ٢٤) . أما لماذا لم ينعم الله على مدن الأمم هذه بما أنعم به على مدن إسرائيل من إعلانات كانت كافية لتوبيهم ؟ فجوابه : إن أزمنة إعطاء الناموس ، وإرسال الأنبياء ، وتجسد الابن ، وصنعه المعجزات لم تكن قد جاءت بعد . فضلا عن أن الله حر فى توزيع نعمه على الأجيال والشعوب ، غير أنه لا يدين أحداً من الشعوب إلا على قدر ما رفضه من نور أعطى له وكان كافياً لتوبته لو أراد ، لأن الله عادل فى دينونته . وحتى الذين صنع المسيح بينهم تلك المعجزات لم يتأثروا بها للتوبة مع أنها كانت كافية لذلك ، لأنهم لم يريدوا التوبة . لأن صاحب الإرادة العاصية تزداد إرادته عصياناً كلما ازداد التأثير عليه لاقتياده الى التوبة .

وفى المسيحية الآن قيل : «فالله الآن (بعد أن أتم ابنه عمله الكفارى عن جميع البشر) يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا ، متغاضياً عن أزمنة الجهل . لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل (هو المسيح الإنسان) قد عينه مقدماً للجميع إيماناً ، إذ أقامه من الأموات» (أع ١٧ : ٣٠ و ٣١) .

ج — الله يعاقب رافضي التوبة والإيمان والخلاص بتركهم لما اختاروه لأنفسهم من شر وهلاك

إذا لم يتب الخاطىء ، بعد كل محاولات روح الله معه (تك ٦ : ٣ ، يو ١٦ : ٨ — ١١) لرده عن طريق ضلاله وهدايته إلى التوبة والإيمان لامتلاك الخلاص والسماء ، يعاقبه الله بتركه لما فضله لنفسه من غواية وشر وهلاك . وهذا مثلما حصل مع بلعام العراف الذى استأجره بالاق الملك ليلعن له شعب الرب ، إذ كان من العرافين أصحاب الجان والتوابع ، متخفياً تحت صورة نبي للرب . ولكن الرب حذره من الذهاب وأفهمه أن محاولاته ستؤوب بالفشل ، لأن الشعب مبارك من الرب ، ولا يستطيع أحد أن يلعنه . فما كان من بلعام إلا أن استغل هذا الإنذار الإلهى وسيلة لمساومة الملك ليزيد له حلاوين العرافة . ولما رأى الرب عند وصول الوفد الثانى تصميم بلعام على الذهاب ، سمح له على غير إرادته تعالى ، إذ أذن له وهو غاضب عليه . والدليل أنه اعترضه فى الطريق وأراد أن يقتله أكثر من مرة . وأخيراً ظهر له وأعلن له غضبه عليه لذهابه . ومع ذلك فبلعام لم يرعو ولم يتب ، وإنما فقط جامل بكلمات فارغة . ولما رأى الرب تصميمه سمح له بالمضى فى طريقه . وهناك امتلكه الرب بقوته المعجزية واستخدمه رغم أنفه فى النطق ببركة شعبه ولعنة أعدائه . ولما رأى بلعام أنه فشل وخسر الصفقة وهدده بالاق بالقتل ، وإذا أحب أجرة الإثم منصباً فيها ، احتال على إيقاع شعب الرب فى الزنى والوثنية . وسمح الرب بمحاولة بلعام على سبيل امتحان شعبه أيضاً . ولكن إذ سقط الشعب فى الامتحان رغم محبة الرب لهم عاقبهم بسقوط ٢٤ ألف منهم بالوباء . وظفر بلعام من بالاق بأجرة إثمه وهلاك هذه الألوف . ومضى فى طريقه لمصرعه وهلاكه الأبدى

الذى اختاره لنفسه (إقرأ عدد ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١ ، يش ١٣ : ٢٢ ، ٢ بط ٢ : ١٥ و ١٦ ، يه ١١ ، رؤ ٢ : ١٤) .

ومن عينة تركه الشعوب لشرها عقوبة على إصرارها عليه ، ما قيل عن الشعوب التى بعد الطوفان فضلت الوثنية حباً فى عيشة الإثم ، على عبادة الله لما تتطلبه من عيشة البر « لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله ، بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى . وبينما هم يزعمون أنهم حكماء (فى أفكارهم الفلسفية) صاروا جهلاء (فى سخافاتهم الوثنية) . وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى (أو الذى ينحل بالموت وينتهى بصورته الجسمانية من العالم المنظور) . والطيور والدواب والزحافات . لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم الذين استبدلوا حق الله بالكذب ، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق . . . لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان . . . نائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق . وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق » (رو ١ : ٢١—٢٨) .

ومن عينة ذلك أيضاً ما قيل عن إسرائيل الذين رغم كل إنذارات الله لهم فى الناموس والأنبياء وخدمة المسيح بينهم « لم يختاروا مخافة الرب » (أم ١ : ٢٩) بل « اختاروا طرقهم » (أش ٦٦ : ٣) وعبدوا أوثانهم الحرفية قبل السبى إلى بابل ، والروحية بعده كالعالم والمال والذات (لو ١٦ : ١٣ و ١٤ ، يو ١٢ : ٤٣ ، مت ٢٧ : ١٨) « وأغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ، ويفهموا بقلوبهم » (مت ١٣ : ١٥) فعوقبوا بتركهم لما رغبوه « أفرايم موثق بالأصنام ، اتركوه » (هو ٤ : ١٧)

« لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا » (هو ٤ : ٦) « تسمعون سمعاً ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون » (مت ١٣ : ١٤) فصار المسيح لهم « حجر صدمة وصخرة عثرة الذين يعثرون غير طائعين للكلمة ، الأمر الذى جعلوا له » عقوبة لهم (١ بط ٢ : ٨) إذ « قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة » (يه ٤) أى منذ صدور الحكم عليهم كأمة بهذا الترك فى أش ٦ : ٨ — ١٠ و هو ١ : ٨ بسبب تركهم لله ، وإصرارهم على البعد عنه . وكان ذلك الحكم قبل تجسد المسيح بنحو ٧٣٠ سنة .

ومن نوع ذلك أيضاً ماقيل عن المسيحيين بالاسم بسبب رفضهم العمدى للمسيح كالحق « لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ، لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم » (٢ تس ٢ : ١٠ — ١٢) .

الفصل الثانى

الاختيــار

ا — تدخل الله للحد من نسبة الشر والهلاك

لو قصد الله أن يترك كل العصاة لشرهم الذى يبغضه ، وهلاكهم الذى لايريده ، لصار كل عمل من أعمالهم شراً ولصار مصيرهم الهلاك . فسر الله أن يتدخل فى غنى نعمته وعظيم قدرته وشمول عنايته ، ليحول البعض إلى البر والخلاص عن طريق العمل فيهم لاقتيادهم ليروا ما يراه ويريدوا بمحض اختيارهم — ما يريده . لذلك يقول أشعياء عن تنفيذ الله لعمل

نعمته هذا معهم كأمة « لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة (فى شرهما وهلاكهما) » (أش ١ : ٩) ، فجاء تعالى من مجرد نعمته وعمل فى البعض عمــــلا خاصاً أقنعهم به على قبول التوبة والإيمان والخلاص عطية منه . فقيل عن عطية التوبة « إذ أعطى الله الأمم أيضاً (أى كاليهود) التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) . قيل عن عطية الإيمان « إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً » (٢ بط ١ : ١) وقيل عن عطية الخلاص « بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان ، وذلك ليس منكم هو عطية الله » (أف ٢ : ٨) ؛ « أما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٢٣) وبذلك ردهم عن طريق الشر كما قيل « إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يباركسكم برد كل واحد منسكم عن شروره » (أع ٣ : ٢٦) وهداهم وما بدأه فيهم من كل عمـل صالح يرضيـه يعمل على تكميله فيهم إلى يوم يسوع المسيح (فى ٢ : ١٣ ، ١ : ٦ ، عب ١٣ : ٢١) .

وفى تنفيذ الله لقصده من جهة تحويل الإنسان إلى بر وخلاصه يعمل فى قلبه بكلمته وقوة روحه كما قيل « فلما سمعوا (كلام بطرس) نخسوا فى قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ، ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة ، فقال لهم بطرس ، توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » (أع ٢ : ٣٧ — ٤١) « لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص . فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به ؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يكرزون إن لم يرسلوا ؟ كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات » (رو ١٠ : ١٣ — ١٥) . فالاختيار لا ينفى التبشير أو التوبة

أو الإيمان بل يحتمها كما يقول الرسول .

وقد يضمن الرب أيضاً تنفيذ قصده من جهة الخير بتدخله بأعمال عنايته في أعمال الأشرار لجعل النتيجة خيره لأشرهم ، كما قال يوسف لإخوته : « لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى إلى هنا لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم » (تك ٤٥ : ٥) « إنكم قصدتم لى شراً . أما الله فقصد به خيراً » (تك ٥٠ : ٢٠) .

وقد يضمن الرب خيره بمد يده على الأجسام « فقال له الله (أى لابيمالك) فى الحلم . . . أنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطىء إلىّ . لذلك لم أدعك تمسها (يقصد سارة) . . . فشفى الله أبيمالك » (تك ٢٠ : ٦ و ١٧) .

ب — مشورة الله المحتومة

إن كل أعمال الله هذه التى يجريها فى عرض الزمان هى معروفة فى سابق علمه ، إذ سبق فرأى ماسيكون فى المخلوق ، وأعد له فى قصده مايواجهه به لذلك قيل : « معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله »(أع ١٥ : ١٨) . إذاً فلله قصد حتم بتنفيذه من جهة كل شىء يسمى « مشورة الله المحتومة » (أع ٢ : ٢٣) وهو « مشورة » لأنه اتفاق الأقانيم باعتبارهم الله الواحد على ماسيعمل ، وتوصف المشورة بأنها « محتومة » لأنها مشيئة الله التى لابد من نفاذها .

وكون الله فى الأزل له قصد من جهة كل شىء قبل البدء فى العمل هو من مقتضيات الحكمة ، لأنه إن كان الإنسان الحكيم لا يتسرع فى عمل مادون

غاية أو تخطيط ، فبالأولى الله الكلى الحكمة . ومما يريح أفكارنا أن إدارة الكون هى فى يد أمينة ، هى يد أبينا المحب الحكيم البار القدير ، يسيرها معاً لتنفيذ خطة أزلية مرسومة ، وقصد إلهى ثابت لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، فلا تكون حركة أو سكون إلا من الخط المرسوم المؤدى للغاية . لأنه من المستحيل أن يخلق الله الكون ويتركه للصدفة والاتفاق .

غير أن ماقضى به الله فى قصده الأزلى من خير وتوبة وإيمان وخلاص ، هو مايريده ويفعله ، ومايأمر به المخلوق العاقل الحر المسئول ، ومايعمل فيه لأجله ، ويعاونه على تنفيذه . أما الشر ، سواء أكان هو الضرر ، أو الخطية والعصيان والهلاك ، فهو مالايريده وما لايفعله ، ومانيهى عنه المخلوق العاقل الحر المسئول ، وما يحذره منه ، ومايحول دونه ودون فعله بكل المحاولات ، ولكنه فى حالة إصرار المخلوق عليه ، لا يمنعه عنه قسراً ، بل يتركه وشأنه ككائن عاقل ، له حرية الاختيار فى عمل مايشاء ، مسئول عن نفسه ، وحر التصرف فيها . وهذا هو الفرق بين الإرادة بالخير ، والسماح بالشر .

وعليه : فالله على قاعدة حريته فى فعل مايريد من خير وبر وخلاص ، وحرية المخلوق فى فعل ماسمح به تعالى من خير وشر وهلاك ، وبسبب مشورة الله المحتومة — لا يمكن لخير الله أن ينقص منه ، ولا لشر المخلوق أن يزاد عليه . لذلك قال له المجد ، عن نفسه : « مخبر منذ البدء بالأخير ، ومنذ القديم بما لم يفعل قائلا ، رأيى يقوم ، وافعل كل مسرتى ، داع من المشرق ... رجل مشورتى ، قد تكلمت فأجريه ، قضيت فأفعله » (أش ٤٦ : ١٠ و ١١) وقيل أيضاً : « فى قلب الإنسان أفكار كثيرة لكن مشورة

الرب هى تثبت » (أم ١٩ : ٢١) ولذلك قال بطرس الرسول لبنى إسرائيل عما آلموا به المسيح ظلماً (بخلاف الآلام الكفارية) «هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه» (أع ٢ : ٢٣).

وقال الرسل فى صلاتهم لله عن هذا الذى فعله بنى إسرائيل «ليفعلوا كل ماسبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون» (أع ٤ : ٢٨). كما قال المسيح فى آلامه الكفارية من يد الله فى ساعات الظلام الرهيبة «ذبيحة وقرباناً لم ترد، ولكن هيأت لى جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ثم قلت هأنذا أجىء. فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله. . . فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب ١٠ : ٥ — ٧ و ١٠).

ج — نعمة الله فى اختياره البعض للخير والخلاص وعدله فى تسليم الغير للشر والهلاك

إن يسمح الله، وهو القدوس، للمخلوق الحر أن يسىء استعمال حرية إرادته فى ارتكاب الخطأ فى حقه تعالى، وأن يسمح، وهو المحب، لهذا المخلوق أن يهلك جزاء خطئه ـ هو سماح ولاشك على غير إرادته تعالى لأنه تعالى كالقدوس، لا يريد أن يعمل إلا البر، وكالمحب لا يريد أن يكون إلا الخلاص. ولا يصح أن يبدو هذا السماح فى نظرنا القاصر متعارضاً مع كمال الله، بل يجب أن نفهم منه أن لله كمالا يفوق تفكيرنا، وغايات حكيمة كتم أمرها عنا، امتحاناً لطاعة وخضوع عقولنا، وإقرار قلوبنا بسلطانه المطلق، وكماله الذي لايحد ولا ينقص، ومع ذلك فالرجوع

إلى فصول الاختيار يجعلنا نلمس الغايات الآتية فيما يسمح به للمخلوق عما أراده من شر يهين به الله ويهلك به نفسه .

أولا — اعترافاً بما للمخلوق من امتياز خلقه على صورة الله من حرية الإرادة والعمل . لأنه لو تعرض تعالى للحريات لنفى الشخصيات وحرية إرادتها فى اختيار ما تشاء ، ولحطها إلى مستوى العجماوات ، ولكان تعالى ساحباً بذلك ما سبق وأنعم به عليها وهو خلقها على صورته .

ثانياً — إظهاراً لكفاية قوة الله لقمع طغيان شر المخلوق ، والانتصار عليه ، وتحويله للخير ، كما قال تعالى لفرعون فى عصيانه عليه « لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ، ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض » (رو ٩ : ١٧)

ثالثاً — إظهاراً وإثباتاً لسلطانه الإلهى المطلق ، طبقاً لحرية إرادته فى استعمال النعمة مع من يشاء والعدل مع من يشاء فمن بين من رفضوه وفضلوا الشر عليه اختار نعمة منه من يشاء ليرحمهم من هذا الشر الذى فضلوه عليه وترك الباقين ، عدلا منه ، فريسة لشرهم وهلاكهم . ومن أوضح الأمور فى الكتاب أن الاختيار بالنعمة معلن عنه أنه أزلى . أما الحكم على البعض بتركهم لشرهم وهلاكهم ، فلم يرد عنه قط أنه تعيين أزلى ، بل مجرد إجراء عادل فى الزمان والأبدية استحقوه لموقفهم العدائى من الله فى الزمان . لذلك قيل : « أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب فى إيليا كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا : « يارب ، قتلوا أنبياءك ، وهدموا مذابحك ، وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى » لكن ماذا يقول له الوحى ؟ « أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل » فكذلك فى الزمان

الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة . فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فليست النعمة بعد نعمة . وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة . وإلا فالعمل لا يكون بعد عملا فماذا ؟ مايطلبه إسرائيل ذلك لم ينله (لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس رو ٩ : ٣٢) ولكن المختارون (بسبب نعمة الله عليهم وإيمان قلوبهم بها) نالوه . وأما الباقون (لأنهم غمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ، ويسمعوا بآذانهم ، ويفهموا بقلوبهم ، ويرجعوا فأشفيهم مت ١٣ : ١٥) فتقسوا (أو تركوا للقساوة قلوبهم التى أحبوها وكان ذلك جزاء عادلا من جنس العمل) كما هو مكتوب : « أعطاهم الله (جزاء عدائهم له) روح سبات ، وعيوناً حتى لا يبصروا ، وآذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم وداود يقول : لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم . لتظلم أعينهم كي لا يبصروا ، ولتحن ظهورهم فى كل حين » (رو ١١ : ٢ — ١٠) .

ومن ثم قيل أيضاً : « فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء . فستقول لى ، لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته ؟ بل من أنت ، أيها الإنسان الذى تجاوب الله ، ألعل الجبلة تقول لجابلها ، لماذا صنعتنى هكذا ؟ (لأنه إذا كان للجبلة البشرية سلطان أن تستعمل حريتها فى صنع مايهين جابلها ، أفلا يكون لجابلها سلطان أن يستعمل حريته فى رحمة بعض الأوانى التى أهانته ، وفى جعل باقى الأوانى تتحمل عواقب إهانتها له ؟) . أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة (نعمة منه على هذا الإناء لا يستحقها) ، وآخر للهوان (عقوبة منه تعالى يستحقها هذا الإناء ؟) فماذا ، إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه (كعقوبة عادلة) ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة (وهذا هو موقفه من جهة شر الإنسان)

آنية غضب (أى آنية أثارت بعصيانها عليه غضبه عليها ، وهو تعالى مؤجل صب غضبه عليها) ، مهيأة (بسبب عصيانها) . ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق الله فأعدها (هو) للمجد » (رو ٩ : ١٨ — ٢٣) (أنظر أيضاً مت ١١ : ٢٥ — ٢٧ ، ١٣ : ١٠ — ١٨) .

فلماذا لم يختر الله الجميع ؟ جوابه واضح فى النص ، وهو أن الله كائن حر ، وله حريته فى اختيار من يشاء ، كما أن المخلوق كائن حر ، وله حريته فى اختيار ما يشاء ورفضه ما لا يشاء ، أم أن يكون للمخلوق حرية فى أن يختار الله أو أن يرفضه مع ما فى ذلك من إهانة له تعالى ولا يكون لله حرية الإرادة مع من رفضوه فى أن يختار منهم للرحمة من يشاء ، ويسلم للعدل من يشاء ؟ لأنه يقول لموسى : « إنى أرحم من أرحم ، وأترأف على من أترأف » (رو ٩ : ١٥) .

وليس أظلم من أظلم . لأنه حاشا لله من الظلم ! ومادام الله لم يكن ملزماً باختيار الذين اختارهم ، إذ لم يكن اختياره لهم إلا تفضلا منه عليهم ، وهم مجرمون فى حقه ، فمن يلزمه إذاً باختيار الكل ؟ لقد كان تعالى فى غنى نعمته مقدماً للجميع لقبوله « فابتدأ الجميع برأى واحد يستعفون» (لو ١٤ : ١٨) .

فألا يستحق الجميع أن يحرموا منه ؟ فإذا كان رغم ذلك ، يختار البعض ويقنعهم بحاجتهم إليه فيقبلونه ويرجعون ، أفلا يكون ذلك منه نعمة فائضة عليهم ؟ وفى نفس الوقت ، ما ذنبه فى حرمان من حرموا منه ؟ فليس هو الذى رفضهم ، بل هم الذين رفضوه ، وهو احتملهم بطول الأناة .

فالاختيار للخلاص أساسه التعيين الإلهى من الأزل على مبدأ النعمة المطلقة . وعلامة المختار التى تظهر عليه فى الزمان ، والتى لابد منها لخلاصه أنه يتوب ويؤمن ، وكثمرة لإيمانه يعيش عيشة القداسة حتى نهاية حياته ،

وظهور هذا فيه ليس هو سبب اختياره ، بل اختياره هو السبب الرئيسى لظهور هذا فيه . . وعن هذا كله قيل : « الله الذى خلصنا ودعانا بدعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا ، بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية . وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح » (٢ تى ١ : ٨ — ١٠) .

وأيضاً : « الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق ، الأمر الذى دعاكم إليه بإنجيلنا لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح » (٢ تس ٢ : ١٣ و ١٤) .

وأيضاً : « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة ، إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته . . . الذى فيه (أى فى المسيح) أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته . . . الذى فيه (أى فى المسيح) أنتم (المختارون والمعينون قبل تأسيس العالم) إذ سمعتم (فى الزمان طبعاً) كلمة الحق ، إنجيل خلاصكم ، الذى فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (أف ١ : ٤ — ١٣) .

وأيضاً : « آمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية » (أع ١٣ : ٤٨) .

وأيضاً : « لأجل ذلك أنا أصبر على كل شىء لأجل المختارين لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى فى المسيح يسوع مع مجد أبدى » (٢ تى ٢ : ١٠) .

وأيضاً : « المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق فى تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح » (١ بط ١ : ١ و ٢) .

وأيضاً : « الذين هم مدعوون حسب قصده . لأن الذين سبق فعرفهم

سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين ، والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً (فى المسيح الآن ، ومع المسيح تمريباً) » (رو ٨ : ٢٨ — ٣٠) .

وفى كل هذا نرى أن اختيار الله البعض للخلاص هو من الأزل ، وفى المسيح (أى لمجده وعلى أساس كمال عمله) وعلى مبدأ النعمة المطلقة ، وعلى مبدأ سلطان الله المطلق . وعليه فلله وحده يرجع كل الفضل فى توبة المختارين وإيمانهم وعيشتهم فى القداسة حتى نهاية شهادتهم على الأرض . فهو الذى عمل فيهم كل ذلك ، كما قيل «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٣) .

وأيضاً : « واثقاً بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملا صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح » (فى ١ : ٦) .

وأيضاً : « الأمر الذى لأجله نصلى أيضاً كل حين من جهتكم أن يؤهلكم إلهنا للدعوة ، ويكمل كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة » (٢ تس ١ : ١١) .

وأيضاً : « وربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذى أحبنا وأعطانا عزاء أبدياً ورجاء صالحاً بالنعمة يعزي قلوبكم ويثبتكم فى كل كلام وعمل صالح » (٢ تس ٢ : ١٦ و ١٧) .

وأيضاً : « وإله السلام . . ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح » (عب ١٣ : ٢٠ و ٢١) . « وإله كل نعمة الذى دعانا إلى مجده الأبدى فى المسيح يسوع . . . هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم » (١ بط ٥ : ١٠) .

وكل هذا عمله ويعمله فيهم من الأول إلى الآخر دون أن يسلب إرادتهم ، أو يحجز على حريتهم ، وإنما عمل على صيانتهم من أن يستعملوا حرية إرادتهم في رفض التوبة والإيمان والخلاص ، ورفض العيشة في القداسة حتى نهاية الأجل .

فكم نشكره من أعماق القلب على اختيارنا للخلاص ، وتعييننا للحياة الأبدية والتبني ! فإنه لولا ذلك لساد الشر على الكل ، وطغى الهلاك على الجميع .

أما هلاك الباقين فلم يرد عنه قط أنه اختيار أو تعيين الله لهم في الأزل للعصيان والهلاك ، حاشا ! وألف حاشا ! وإنما أساسه القضاء الإلهي على مبدأ العدل لرافضي النعمة . كذلك لم يقل الكتاب قط أنه عامل فيهم للعصيان أو عيشة النجاسة ، حاشا ! وألف حاشا ! وإنما الذي قيل عنه أنه جزاء عادلا منه عليهم ، أسلمهم لهذه التي اختاروها طريقاً لأنفسهم مصرين على عدم العدول عنها ، رغم كل المحاولات المبذولة معهم .

فقيل عن إصرارهم : « الذين ، إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت ، لا يفعلونها فقط ، بل أيضاً يسرّون بالذين يعملون » (رو ١ : ٣٢) .

وقيل عن تسليم الله إياهم لهواهم : « وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » (رو ١ : ٢٨)
وكما قيل عن ابني عالي : « ولم يسمعوا لصوت أبيهم (صوت النصح) لأن الرب شاء أن يميتهم » (١ صم ٢ : ٢٥) .

وكما قال الرب لإبراهيم : « وفي الجيل الرابع (أو بعد ٤٠٠ سنة) يرجعون (يقصد نسل إبراهيم) إلى ههنا (أي إلى أرض الأموريين

لامتلاكها) ، لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا » (تك ١٥ : ١٦)
فأربعمائة سنة أعطاها الرب فرصة الأموريين للتوبة ، ولكنهم أمعنوا في
الشر عوضاً عن أن يتوبوا عنه ، وبذلك أكملوا مكيال إثمهم ، وآن أوان
هلاكهم ، لذلك قيل أيضاً : « أم تستهين بغنى لطفه (أى لطف الله) وإمهاله
وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ؟ ولكنك من
أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب ،
واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله »
(رو ٢ : ٤ — ٦) .

د — الاختيار لإنعامات أخرى غير الخلاص

إن بيت القصيد هو الاختيار للخلاص . ولكن يوجد أيضاً ما هو
لغايات أخرى ، كاختيار إسرائيل فى القديم شعباً للرب ، كما قيل عنه :
« الشعب الذى اختاره (الله) ميراثاً لنفسه » مز ٣٣ : ١٢ وكاختياره لمركز
السيادة القومية على أخيه عيسو كأمة ، كما قيل « لأنه وهما لم يولدا بعد ،
ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار (الذى كان
هنا لمركز السيادة القومية) ليس من الأعمال ، بل من الذى يدعو » قيل لها
(أى لرفقه) أن الكبير (وهو عيسو) يستعبد (فى مركزه القومى)
للصغير (وهو يعقوب) كما هو مكتوب : أحببت يعقوب (أى اخترته
لمركز السيادة) وأبغضت (وفى الأصل تعنى أيضاً « رفضت ») عيسو
(من مركز السيادة) » (رو ٩ : ١١ — ١٣) .

وكان هذا كاختيار سبط يهوذا للملك (مز ٧٨ : ٦٨) وسبط لاوى
للكهنوت (٢ أى ٢٩ : ١١) وكاختيار إبراهيم وإسحق ويعقوب آباء للأمة

الإسرائيلية (أع ١٣ : ١٧) وموسى نبياً (مز ١٠٦ : ٢٣) وهرون كاهناً (مز ١٠٥ : ٢٦) وداود ملكاً (مز ٧٨ : ٧٠) والاثنى عشر وبولس رسلاً (لو ٦ : ١٣ وأع ١ : ٢ و ٩ و ١٥) .

ومهما كانت الغاية من الاختيار ، فهو نعمة لغير مستحقيها . والدليل على ذلك أن الله اختار الصغار المحتقرين ، نظير إسحق ويعقوب ويوسف وداود دون الكبار المحترمين ، نظير إسماعيل وعيسو ورأوبين وشاول . ولذلك أيضاً قال الرسول : « اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود . لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه » (١ كو ١ : ٢٧ — ٢٩) .

هـ — العبد هو المسئول الوحيد عن شره وهلاكه

إن المدافع عن الإنسان فى شره ، يسأل عادة هذا السؤال : لماذا خلق الله أمثال هؤلاء الذين سبق فعلم أنهم سيجلبون الهلاك عدلاً على أنفسهم ؟ أما كان الأولى أنهم لا يوجدون بالمرة ؟ بلى ! والرب نفسه هو أول من قرر ذلك فى قوله عن الأسخريوطى مثلاً : « كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » (مت ٢٦ : ٢٤) وكما قيل عن الإنسان قبل الطوفان : « ورأى الرب شر الإنسان قد كثر فى الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب ، أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأنى حزنت أنى عملتهم » (تك ٦ : ٥ — ٨)

ولكن لم تكن الغلطة غلطة الله الذى خلق الإنسان كائناً عظيماً على

صورة الله حر الإرادة ، حاشا ، بل الغلطة غلطة الإنسان الحر الذى بمحض اختياره أساء استعمال حريته فى إفساد نفسه وطريقه وإهانة خالقه وإحزانه ، وإثارة غضبه عليه ، كما قيل : « انظر هذا وجدت فقط ، أن الله صنع الإنسان مستقيما ، أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة » (جا ٧ : ٢٩) .

فالإنسان هو المسئول وحده عن شره وكفره وهلاكه كما قيل : « إن تركك الرب إلهك شر ومر » (أر ٢ : ١٩) .

وكما قيل أيضاً : « لا يقل أحد إذا جرب (تجربة الخطية) إنى أجرب من قبل الله ، لأن الله غير مجرب بالشرور ، وهو لا يجرب أحداً . ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته . ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية . والخطية إذا كملت تنتج موتاً . لا تضلوا يا إخوتى الأحباء (فى أن تنسبوا خطيتكم أو موتكم لله الصالح الذى لا يمكن أن يصدر منه إلا كل صلاح) كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار ، الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران . . . شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » (يع ١ : ١٣ — ١٨) .

فكل خير وبر وخلاص ، يرجع الفضل فيه لله وحده ، كما قيل : « فضل القوة لله لا منا » (٢ كو ٤ : ٧) . أما كل شر وكل هلاك إنما المسئول عنه هو الشرير نفسه ، أما الله فعادل وبار فى أحكامه كما قيل : « عادل أنت أيها الكائن ، والذى كان والذى يكون ، لأنك حكمت هكذا . . . لأنهم مستحقون . . . نعم ، أيها الرب الإله القادر على كل شىء . . حق وعادلة هى أحكامك » (رؤ ١٦ : ٥ — ٧) .

